




مكتبة محفوظ

عمر حبيب


Biblioteca Alexandrina
0145229



عضر الحُجُب

مطبعة محمد بن عبد الله

عصر الحب

تأليف

نجيب محفوظ

الحائز على جائزة الدولة التقديرية

وجائزة نوبل العالمية للأدب لعام ١٩٨٨

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدق أنعم

سعيد جودة السحار وشركاه

فاد مصور للطباعة

٣١ شارع كامل صدق

يقول الراوى :

ولكن من الراوى ؟ ألا يحسن أن نقدمه بكلمة ؟
 انه ليس شخصا معيناً يمكن أن يشار اليه
 اشارة تاريخية ، فلا هو رجل ولا امرأة ، ولا
 هوية ولا اسم له ، لعله خلاصة أصوات مهموسة
 أو مرتفعة ، تحركها رغبة جامحة في تخليد بعض
 الذكريات ، يحدوها ولع بالحكمة والموعظة
 وتستأسرها عواطف الأفراح والأحزان ، ووجدان
 مأساوى دفين ، وعذوبة أحلام يعتقد أنها تحققت
 ذات يوم . انه فى الواقع تراث منسوج من تاريخ
 ملائكى ينبع صدقه من درجة حرارته وعمق
 أشواقه ، ويتجسد بفضل خيال أمين يهفو الى
 غزو الفضاء رغم تعثر قدميه فوق الأرض الأليفة
 المتشقة التربة وثغراتها المفعمة بالماء الآسن .
 وانى اذ أسجله كما تنامى الى ، اذ أسجله باسم
 الراوى وبنص كلماته فانما أصدع بما يأمر به
 الولاء ، وأنفذ ما يقضى به الحب ، مدعناً فى
 الوقت نفسه لقوة لا يجوز المجازفة بتجاهلها .

★ ★ ★

يقول الراوى :

انه كانت تعيش فى حارتنا أرملة تدعى ست
عين . امرأة قوية عجيبة الأطوار مثيرة
الأوصاف ، كائن فريد لا يتكرر ، يدعو الى الحذر
بين يدي الحياة الغامضة التى لا حدود
لامكانياتها . وتبدأ حكايتها عادة وهى أرملة فى
الخمسين ذات ابن وحيد يدعى عزت فى السادسة
من عمره . لم لم تبدأ الحكاية قبل ذلك ؟ لم لم
تبدأ وهى صبية أو وهى عروس ؟ لماذا
لا يحدثوننا عن عم عبد الباقي زوجها ؟ لم لم
تنجب الا عزت ؟ ولم أنجبته على كبر ؟ أ جاء
النقص منها أم من الزوج ؟ ولكن ماذا يهم ذلك
كله ؟ الراوى ملتزم برؤيته ولو تحرر منها لوجب
أن يسترسل فى التقصى حتى يبلغ رحاب أبينا آدم
وأما حواء . واذن فلتكن البداية وست عين فى
الخمسين ووحيدها عزت فى السادسة وهى
امرأة مرموقة ، ذات شأن ينمو ويتضخم مع
الزمن كمدينة صاعدة ، تملك جميع العمارات
الكبيرة فى الحارة فهى ثرية واسعة الثراء ، بل
لا مثيل لثرائها ، ولا أدرى ان كانت هى موجهة
الثروة أم زوجها ولكن مما يذكر أن شقيقتها
أمونة لا تملك شيئا . أجل لا يقطع ذلك بأن ثروتها
موروثة عن زوجها ، فقد نتصور أن الشقيقتين
تساوتا ذات يوم فى ارث محدود ، بددته أمونة

على حين استثمرته عين ، على أى حال كانت أغنى
 شخص في الحارة بلا استثناء للمعلمين والتجار .
 وإلى الثراء الواسع خصت بصحة رائعة .
 يقولون انها حافظت على رونق الشباب وهى في
 الخمسين من عمرها ، لم يبهت سواد شعرة من
 شعرها ، ولا اشتكى لها عضو ، متينة البناء
 متوسطة القامة ، لا بدانة تثقلها ولا نحافة
 تعيبها ، يتكور نهداها شامخين وسالمين من أثر
 الرضاعة ويكوتان في مقدمة الجسد مركز ملاحظة
 مستقر كأنه - بلغة اليوم - محطة ارسال ولكنه
 مغلف بالجلال الزاجر ، وأجمل قسماتها العينان
 السوداوان يشع منهما نور هادىء ذائب في
 الحنان ، أما الأنف فدقيق ولكنه طويل يرشحه
 طوله لوجه رجل ، كذلك فاها الواسع الممتلىء
 ويحدثونك كثيرا عن لون بشرتها القمحي النقى
 الذى لم تمسه الأصباغ ، وخمارها الأبيض
 وجلابها السابغ وتلفيعتها السمراء فلم تر في
 الطريق مندسة في ملاءة لف أو تزييرة أو متحجبة
 ببرقع أسود أو أبيض متحدية الألسن بوقار
 الغمر وهيبة الخلق وسحر السلوك وحصانة
 المنزل ، معتزة بسمعة مثل شذا الورد ، وفي
 حارتنا لا يغض البصر عن نقيصة ، ولا تعفى
 نقيصة من القيل والقال ، والحفظ والتسجيل ،
 لذلك فليس أبقي في الذاكرة من سير الفتوات

والقوادين والعاشرات ، ونغالى فنؤرخ بهم
الأحداث فتقرن الذكرى بحياة الضبش أو الدنف
أو عليّة كفتة • فأن يمضى تاريخ ست عين بلا
كلمة واحدة تسيء اليها دليل قاطع على نقائها
وطهارتها وفضائلها الجمّة • وهى تمشى اذا
خرجت فى الطريق فى صخبة مظلة لا تتخلى عنها
صيفا أو شتاء ، تتقى بها الشمس أو المطر أو
تنذر بها - فى الأحوال النادرة - من يتعرض لها
من السكارى أو المسطولين ويا ويل من يتعرض
لها فى ذهوله من أهل الطريق • الحق أنها لم تكن
مصونة بسبب عفتها فحسب ولكن لقوة
شخصيتها أولا وأخيرا • كانت بحكم وظيفتها
المالية تستقبل الكثيرين من السكان والمتعاملين ،
وكانوا سرعان ما يفيقون من سحر جمالها تحت
تأثير صوتها القوي ومنطقها الجدى ونظراتها
النافذة • حتى الفتوات لم تسول لهم أنفسهم
الاستهتار فى محضرها ، وربما رجعوا من لقائها
وهم يتمتمون : « يا لها من رجل ! » • غير أن
ذلك لم يعن أكثر من خيبة ثعلب مكار أو هزيمة
محتال • لم تكن رجولتها الا أسلوبا وجدته
مناسبا للتعامل فى حارة هى أعلم الناس
بأحوالها • لم تكن نقصا فى أنوثة أو خشونة فى
طبع أو قناعا لستر عورة • كلا • بل كانت
الرحمة عينها • لم تصر أسطورة الا بفضل

رحمتها • لو أنها التزمت المكث في دارها لسعى
 إليها المحتاجون • وما دارها الا أجمل دار في
 الحارة • من الخارج لا يتجلى منها الا جدار
 حجري معتم لا يعد بخير ، تتوسطه بوابة غليظة
 متجهمة تحمل فوق هامتها تمساحا محنطا وفي
 نقطة الوسط منها مطرقة نحاسية غبراء على
 هيئة قبضة بشرية • اذا فتحت البوابة تبدت
 الدار جليلة وافية التقطيع تشى بالعز والنعيم ،
 وترامت وراءها حديقة تنفث أخلاطا من روائح
 الياسمين والحناء والفواكه ، تدور حول فسقية
 ارتفع فوق سورها الرخامى سور من الخشب
 منذ تعلم عزت المشى والجري والمغامرة • ومذ
 ترملت لم تعد تنتظر المحتاجين في دارها • انطلقت
 في الحارة بمظلتها ، تهبط على المحتاج في داره ،
 ألقت التجوال الرحيم ، أصبحت الزائرة المترددة
 أبدا على ربوع الفقراء ، تنغمس في أسر الكادحات
 والأرامل والعجزة • يقول الراوى : ان الحارة
 نسييت في أيامها البؤس والجوع والعري ، وهانت
 عليها واجبات الزفاف والمرض والدفن • تلاشت
 الهموم جميعا تحت مظلة عين ، عين الحنون ،
 القلب الخفاق بالحب ، الجود الوهاب بلا
 حساب • التى تدير العمارات لحساب الفقراء
 والمساكين • انها الطل يهطل على الفقر فيتركه
 أخضر يانعا يرقص بماء الحياة • أم الحارة ••

المودعة بالدعوات الصالحات ، والبسمات
 المشرقات والامتنان الوفير ، باسمها يحلفون ،
 بنوادرها في الاحسان يتذكرون الحقيقة والمعجزة
 والأسطورة . وكانت تصادق وتناجى وتالف
 وتؤلف قبل أن تقدم الدواء ، كانت تتسلل الى
 أعماق القلوب الجريحة فتعايش الآلام وتخالط
 الأحزان وتوادد التعساء كأنما تتعامل مع أبناء
 أو تؤدى رسالة طرحتها عليها قوى الغيب ،
 ويقال انها مارست الاحسان في حياة زوجها عم
 عبد الباقي في نطاق الدار وبقدر محدود ثم
 انطلقت انطلاقتها الوردية عقب ترملها . كان
 المظنون أن تقتصد عقب الترمل ، وأن تقتصد
 أكثر حبا في عزت الصغير ، ولكنها تجاوزت منطق
 الأشياء بجناحين مستغارين من الفردوس ، رغم
 أمومة قوية وعميقة ، فلم تسعد امرأة كما سعدت
 بالأمومة التي وهبتها في فترة حرجة غير متوقعة ،
 اعتبرت عزت هبة السماء لقلبها الوحيد .
 أسرها الامتنان للرحمن وأحيت ليالي البر للحسين
 والسيدة وأبو السعود طبيب الجراح . وكم
 أمضت من دهور وهي ترنو بمقلة مسحورة الى
 الوجه الصغير ثم تمضى في طريق الخير ناشرة
 شراع الرحمة ، في وجهه يتراءى أنفها الطويل
 وبشرتها النقية وعينا الأب الجاحظتان . وقالت
 انه ولد لا بنت . والعبرة بالقلب ، فليكن قلبه

عذبا حنونا • وهو نشيط وأنانى ولا يتخلى عنها
 الا بالهزيمة ، وهو أيضا مدمر يبعثر الأزهار
 ويطارد النمل ويقتل الضفادع ، ولا ينام الا
 وهى تقص فوق رأسه القصص • أيطن نفسه
 سلطانا ؟ هكذا تتساءل ضاحكة ، تتساءل بقلب
 شكور ونفس زاخرة بالرضى وبهجة الزهور
 المتفتحة ، ويخطر لها على سبيل الدعابة أن
 تفصل له جبة وقطانا وعمامة ، وتراقمه وهو
 يتزى بها طروبا ، ثم تقول : « ما أجمل أن نهديها
 بعد زهدك فيها الى الشيخ العزيزى » ثم تعرضه
 على صديقاتها من طلاب الرحمة متسائلة :
 « ما رأيكن فى هذا الشيخ ؟ » فيجبنها « قمر ورب
 الحسين فليمد الله فى عمره الى الأبد » وتتفكر
 قليلا فى « الى الأبد » وهى ذكية بقدر ما هى
 مؤمنة • وتغشى سحابة ربيع صفاءها فتغمغم :
 « فليكن يومى يا رب قبل يومه ولتدفننى عند
 القضاء يداه » وسرعان ما تتذكر جيلا راحلا من
 أحبائها فتقتحم مخيلتها القبور والشواهد ،
 والصبار والرياحين ، وصور مسربة بالحياة
 من البشر فتغمغم مرة أخرى : « انهم أحياء معنا
 ولكن لا يعلم الغيب الا الله » •

وتسألها أم سيدة ذات يوم :

— كيف صرت أشرف خلق الله ؟

فتستغفر الله تواضعا وتتمتم وهى تدارى

سرورها الذى تجلى فى ابتسامة خفيفة كلمعة
ضياء فى سحابة يمر وراءها القمر :
- ما هى الا رحمة الله بعابدة مخلصه .
ثم تسائل نفسها :
- كيف لى أن أدري بما يجعل سعادتى فى الحب
العطاء ؟

وعرف وذاع أنه عندما مرض عزت بالحصبة
قدمكنت مسهدة لا تذوق النوم ثلاثة أيام .

★ ★ ★

وقد مضى زمن وجاء زمن . تغيرت حارتنا
بدرجة ملموسة وتمخضت عن أجيال جديدة ذات
مزايا باهرة ولا تخلو أيضا من غرابة ، وكانوا
يتخذون موقفا خاصا مما يروى عن ست عين ،
موقفا يتسم باللامبالاة ولا يخلو أحيانا من
قسوة :

- لم نطالب بتصديق ما يروى دون مناقشة ؟
- انها حكاية جميلة ولكن هل تصمد أمام
التمحيص ؟

- ألا ترون أن التاريخ العلمى نفسه تحوم
حوله الشكوك ؟
- الاحسان ظاهرة حقيقية ولكن ليس على
تلك الصورة .

- ولا تنسوا أن الاحسان نفسه لعبة من
الاعيب الأنانية .

— اليكم حقيقة ست عين التي طمس الحب عليها ، كانت مجنونة بالرحمة والاحسان .
ولكنها لم تجد العين التي تنفذ في أعماق الظواهر ،
ولو وجدتها لتكشفت عن امرأة أخرى لها سيرة
بشرية حقيقية ، وربما حافلة بالفضائح .

★ ★ ★

— ما عسى أن أقول رداً على ذلك ؟ أقول ما
سبق أن قلت من أن حارتنا تتطوع دائماً بتكبير
العيب ونشره ولكنها لا تعترف بالخير الا عندما
لا تجد مفراً من ذلك . فضلاً عن ذلك فان حكاية
عين لا تخلو من ضعف بشرى مما يؤكد صدقها
وواقعيتها ، ولكننا نأبى التسليم بالمثل العليا من
طول انغماسنا في الماء الآسن . المحاكم مكتظة
بالأخوة ، ومن يسقط في الطريق يموت وحيداً .
وما زلت متشبثاً بتصديق حكاية عين فما من
حكاية الا وتعبر عن حقيقة ما كما أنه ما من ألم
الا ويشير الى جرح ما . فحق لا شك فيه أن ست
عين تمشى متلفعة بشملتها السمراء ومظلتها
العتيقة وجلبابها السابغ . الابتسامة تشرق في
صفحة وجهها الوقور ، تسعد بالدعاء والتحيات
والنظرات المعجبة . تمضى نحو الربوع البالية ،
تجلس بين التعساء ، وتهتف :

— كيف حالكم يا أحياء ؟

تسأل عن زينب ، وعم حسين ، وأم بخاطرهما ،

ثم تغادر المكان بعد أن فرشته بورود الرحمة ،
وما أكثر الذين يطالبون بدراستها على ضوء
الفريزة وأنا وأنا الأعلى ، ما أكثر الذين
يحومون حول حياتك الجنسية يا عين . ما أكثر
الذين ينقبون لك عن فضيحة في حفائر الذكريات .

★ ★ ★

ويقول الراوى : ان عين كانت تعشق الفصول
الأربعة . ألفنا أغلبية الناس تؤثر بالحب فصلا
بعينه أو فصلين أما هي فكانت تعشق الفصول
الأربعة . تحب الشتاء والسحب والمطر ، لا تحول
رياحه بينها وبين الجولات الثملة بالعطف ، ولا
يفزعها مطره اذا انهل فوق مظلتها المنشورة
وجرى تحت قدميها ماء عكرا . وتحب الصيف
وتتوافق سريعا مع حرارته وتنوّه بلياليه العذبة ،
وتعشق الخريف وتقول عنه انه فصل الجمال
المغسول ، والليالي المفتونة بالنجوى وتحيات
الوداع المتبادلة . أما الربيع فهو فصل الحديقة
والأصوات ، وتجيء الخماسين محملة بالرسائل
من أراض بعيدة مجهولة تشتعل أفئدتها بنار
مقدسة ، وهى تستجيب ولا شك للفصول المتغيرة
بطبيعتها السمحة وإيمانها الراسخ .

وتموج حارتنا بالعواطف والانفعالات
والأصوات المتلاطمة ، وتجتأحها العواصف
والخصومات ووجهات النظر المتضاربة فتتابع

ذلك بهدوء واشفاق ، وتدعو للخير أن ينتصر ،
ولا يرد على قلبها خاطر سوء أبدا . ولم يكن عن
لامبالاة صفاؤها ، فهي تدرى غالبا - هي التي
لا تنقطع عن الناس - أين يتأرجح الخير وأين
يكمن الشر ، وهي كما قلنا تدعو للخير أن
ينتصر ، ولكنها لا تنسى أن جميع المتنازعين أو
كثرة منهم في حاجة الى عونها !

★ ★ ★

ومما يذكر أن عامة المستهينين بها لم
يعاصروا نشاطها ، ولم يدركوا الفترة الأخيرة
من حياتها ، ولا شهدوا ختامها . ومما يذكر
أيضا أن أكثرهم نشأ وتربى وشق طريقه بفضل
احسانها ورحمتها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، أو
يتناسونه أو يسيئون تأويله كما رأينا ، وتلاحق
الأعوام فتتضخم السيرة في ضمير الراوى حتى
تصير جبلا شاهقا ، ولكنه مثل سائر الجبال
يتعرض لعوامل التعرية .

٢

وذات يوم - كما يقول الراوى - تجلس ست
عين تحت خميلة الياسمين فى الحديقة ترمى
بلباب الخبز المغموس فى المرق الى مجموعة من
القطط لا تقل عن الخمس عدا ، وعزت واقف
بجلبابه المقلم وصندله فيما بين الخميعة
والفسقية ، يقبض بيده الصغيرة على شعاع
الشمس الغاربة الذى يتقلص على جذع شجرة
الليمون ، الصيف يودع الايام الأخيرة من
رحلته ولم يبق على مدفع الافطار الا قليل . وعين
تطعم القطط بيدها ، وتؤلف بينها وبينها ساعات
الطعام وساعات المؤانسة : الأم بركة طحينية
اللون ذات نجمة بيضاء فى وسط الرأس ، والأب
أبو الليل أسود فاحم ، انعام وصباح من
سلالتهما ، ونرجس مهداة من أسرة غريبة
وكلهن روميات منفوشات الشعر ، عن العلاقة
الحميمة بينها وبين القطط ، عن التفاهم
والتخاطر ، عن المودة والتناغم ، عن الطاعة
والدلال ، عن الولاية والأسرار ، عن كل أولئك
تحكى القصص والفوائد .

وفي الهدوء يعلو صوت مستأذنا :
- يا أهل الله !

ترامى من ناحية الممر المفضى الى مدخل الدار ،
تبتسم عين مستأنسة وتهتف :
- تعالى يا أم سيدة •

تقبل المرأة في ملأها اللف سافرة الوجه شأن
الكادحات من نساء الحارة ، تتبعها صغيرتها
سيدة بشعرها المشط وقبقابها الأخضر ،
تنصافح المرأتان على حين تمضى سيدة بتلقائية
نحو عزت لتشهد صراعه مع شعاع الشمس
الغارية • ورغم أنها تماثله في السن - السادسة
- الا أنها تكبره تجربة ووعيا بأربعة أعوام •
التفت نحوها التفاتة مقتضية ثم رجع الى
الشعاع ، ووقفت هى تراقبه باسمه وصامته •
وقالت عين لأم سيدة :

- لم أرك منذ ثلاثة أيام يا ولية يا خائنة •
تضحك أم سيدة من حنجرة غليظة وتقول :
- للرزق أحكام يا ست الكل •

ثم وهى تجلس فوق الأعشاب عند قدمي
عين :

- ربنا يعلم أن يوما يمر من غير أن أراك
لا يحسب من العمر •

القطط في حركة متوترة بين انكباب على اللباب

والتحديق في عين بأعين شفافه مذعورة ، وقالت
عين :

– دائماً تعثرين على الكلمة المناسبة ، مشغولة
بعروس جديدة ؟

– الخاطبة تشوف العجب ، من يصدق أن
عريسا يرفض من أجل حلة نحاس ؟
– ماذا تقصدين ؟

أدركت أم سيدة أنها فهمت قصدها فقالت
باسمة :

– انه شاب يستحق الاحسان !
تقوست بركة فارتفع ذيلها مثل نافورة ،
شبت فيما يبدو ، وثبت فاستقرت فوق الأريكة
جنب عين فهددهتها براحتها وبركة تستجيب مثل
موجة راقصة . تساءلت أم سيدة مترددة
وموجهة خطابها الى القطة :

– كيف أنت يا نرجس ؟
فهمت عين :

– انها بركة ، رأيت كيف نسيت أهل الدار ؟!
فضحكت أم سيدة ، ولحت عزت فهمتفت :
– كيف حالك يا سى عزت ؟

فلم يهتم بها وقالت عين معذرة عنه :
– انه مشغول بشعاع الشمس !

فضحكت أم سيدة كرة أخرى وقالت بحماس :
– رائحة الملوخية تملأ الحارة !

— أهذا ما جاء بك يا نهمة !
فراحت المرأة تناجي شذا الياسمين والحناء
في نبرة غزل ممطوطة منغمة •

★ ★ ★

عقب الأذان غيرت عين ريقها على عصير
خشاف فاتر تم نهضت لتصلى المغرب على حين
جلست أم سيدة الى المائدة بعد أن نزعت عنها
الملاءة وهى تتمتم « لا حياء فى الجوع » وراحت
خادمة تشعل المصباح الغازى الكبير المدلى من
السقف فوق السفرة ، ثم أشعلت قنديل الثرانة
المطلة على الحديقة ، ومضى الافطار فى المضغ
تتخلله كلمات عابرة • وإنتقلتا بعد ذلك الى
الشرقة فجلست عين على الكنبه وأثرت أم سيدة
أن تقتعد شلثة لتمد ساقىها ترويحاً لمعدتها
المتخمة • ولقت سيجارة ، تخدرت من أول نفس،
نعست عيناها العسليتان وانتفخ أنفها الغليظ
الممسوح الأرنبة كراس قطة • وسيطر الصمت
قليلاً تحت تأثير رغبة ملحة فى الراحة ، وجاءت
خادمة بفانوس عزت الملون فهفت نفس عين الى
الانطلاق وقالت :

— ما أحلى المشى عند الحسين •

فتمتمت أم سيدة ضاحكة :

— عندما ترجع الى القدرة على المشى •

ولفت سيجارة ثانية فتمتمت عين :

- الشكر لله فالليل جميل .
- فرمقتها أم سيدة بنظرة طويلة ثم قالت :
- عندي ما هو أجمل .
- ما عندك الا حديث الزواج أو اغتياب عبد
- من عباد الله .
- انه حديث زواج !
- حقا ؟ . . . عندك عروس لعزت ؟
- فقات المرأة بابتهاال :
- بل عندي عريس أو أكثر ان شئت .
- فنظرت اليها بارتياح على ضوء القنديل
- الأزرق فقالت أم سيدة :
- وأنت العروس المنشودة !
- لوحت عين بيديها محتجة وهتفت :
- عليك اللعنة .
- فقالت بحماس متصاعد :
- ما من رجل أصيل في حارتنا . .
- ولكن عين قاطعتها :
- احتشمى يا ولية !
- يا ست الستات ما زلت شابة جميلة . .
- فقالت بحدة :
- لو أردت الزواج ما لبثت حتى اليوم أرملة .
- ولم تبقيين أرملة ؟
- هس .
- زجرتها وهى تتطلع نحو السور القديم وقد

علاه البدر غظيم الثراء عميق الحمرة وانى
الضياء يبدأ رحلته • تركتها تنعم بالنظر ولكنها
أصرت على الرجوع الى الموضوع فقالت :
- ورب القمر ..

غير أنها قاطعتها بلهجة حاسمة :
- كفى يا أم سيدة ، انه عزت ، انه عزت
وكفى ..

ثم تنبّهت من غفلة فتساءلت :
- أين الولد ؟ •
فاستاءت أم سيدة من قطع الحديث وقالت :
- فى الداخل طبعاً •
- وأين سيدة بنتك ؟
- لا شك تلعب معه ، لم يخرج ، ها هو
فانوسه ينتظر •

قامت عين • هبطت درجتى القرائدة ، غاصت
فى ظلمة الحديقة حتى اختفت تماماً ، ظهرت بعد
قليل وهى تجر وراءها عزت بيد وسيدة بيد ،
وصوتها يتساءل فى غضب :
- ألا تخافان النار ؟

جرت سيدة نحو أمها ، وقف عزت منكس
الرأس • قالت عين مخاطبة أم سيدة :
- هى اللعنة ، أرايت ؟
دارت أم سيدة ابتسامة ولكنها هتفت وهى
تزغد ابنتها :

- أعوذ بالله •
- الولد برىء ولكن بنتك ••
- فتمتت أم سيده :
- الله أعلم ••
- فتحن عينك يا أم سيده ••
- عيني مفتوحة دائماً ••

★ ★ ★

- ولم تنس عند الوداع أن تقول لعين :
- لنا عودة الى موضوعنا •
- ولكن عين قالت بحزم :
- سدى هذا الباب بالضبة والمفتاح !

٣

هامت في الصفاء المعهود خواطر قلقة •
ليست بالخطيرة ولكنها تكدر بعض الشيء من
ألف الصفاء ، ما وجه الانزعاج الحقيقي وراء
عبث طفل ؟ • قد آن له أن يذهب الى الكتاب •
ورجال ثمة يطمحون الى مالها • وتنظر الى المرأة
المتبته في الاطار العاجي الموشى بالآيات وتهز
رأسها ، وتتذكر وعدها لعزت يوم وفاة أبيه بألا
تتيح مكان الأب لغريب • مضت خمسة أعوام
فلم يهن العزم • الفصول وحدها تتغير وتمر

الأعوام . وما يشغل بالها حقا فهي شقيقتها ،
 أمونة . انها تكبرها بعشرة أعوام فهي شقيقة
 أمونة وأما . وتتذكر أمهما ، تتذكر بالاختصاص
 وفاتها . حزنها عند الفراق رائع ، كذلك حزنها
 على أبيها . كما أشعل فراق الزوج قلبها .
 حزنها عميق كأفراحها ولكن الحزن يعمر أكثر ،
 ما أن تزور القبر حتى تخشع وتسترسل في
 المناجاة . انهم مثلنا أحياء ولكن لا يعلم الغيب
 الا الله . ما يؤلمها حقا هو حدسها أن أمونة
 تضرر لها الحسد . وهي من ناحيتها لا تضن
 عليها بخير ولكن ذلك لا يستأصل الحسد .
 ما زالت أمونة تقول لها :

— انك تبعثرين مالك بغير حساب .
 فتقول عين متضايقة :
 — انه مال الله .

فتقول أمونة بامتعاض يشوه حسن وجهها :
 — مدى علمي أنه مالك أنت يا أختي !
 فتقول ساخرة :

— لا نملك في الواقع الا قبضتين من تراب .
 — لم تحبين سيرة الموت ؟
 — ربما لأنه يرافقنا في كل خطوة ، هل ينقصك

شيء ؟

— أنت الخير والبركة ولكنني أتحسر على المال
 الضائع . .

فتنظر الى سجادة صغيرة معلقة بالجدار
تعكس نقوشها قبة المسجد الأقصى وتهتف :
- اللهم فاشهد ..
ثم ترنو الى أمونة قائلة :
- أهو ضائع المال الذى يجبر الخاطر ويطعم
الجائع ويسند العاجز ويبهج الطفل ؟ !
- دلينى على ثرى أو ثرية ..
فتقاطعها :

- حسبك ، حديثك ينغص على الصفاء ..
لكنها دائما ترجع الى ذلك الحديث كما يرجع
الحمار الى حظيرته بلا مرشد . لذلك فهي لا تشك
في أن مولد عزت كان صخرة تحطمت عليها
أمواج الجشع ، غير مولده الموازين
والحسابات . وجاءته أم سيدة بالبخور
السودانى الموصوف لتلك الأحوال وهى تقول :
- الأقارب عقارب !
وترضى عين عما تفعل صديقة العمر وتسألها :
- أتدرين ما هو سر السعادة في هذه الدنيا ؟
- ربنا يسعدك دائما وأبدا ..
- عندما لا نأخذ من المال الا ما يحفظ الحياة !

ويقول الراوى : انه في ليلة القدر من رمضان
زارتها أمونة ساحبة بيدها صغيرتها احسان
ذات الأربعة الأعوام ، وعندما جلستا في الثراندة

- عقب الافطار قالت لها عين برعاء :
- تجنبى ما يسبب لى الكدر .
- واحتستا القهوة فى سلام ثم قالت أمونة
بعذوبة :
- أريد أن أجرب حظى فى ليلة القدر !
فدعت لها قائلة :
- فليهبك الله حظا سعيدا . .
- وراحت أمونة تنظر الى القطط وهى تستكن
فى أركان الثرائدة وتمتعت ضاحكة :
- انه بيت القطط . .
- اذا شبع استرسلت فى التسبيح . .
- أنت أدري بلغتها . .
- ثم متسائلة فى شىء من الارتباك :
- هل أجرب حظى ؟
- قالت عين ببراءة :
- عليك أن تنظرى الى السماء طيلة الوقت
— لكن حظى بين يديك أنت يا أختى . .
— حقا !!
- من خلال ما يشبه المجازفة :
- أختى . . ما رأيك فى عزت واحسان ؟
- تشاءمت عين لسبب خفى ولكنها قالت :
- عزت ابنى الصغير واحسان بنتك
الصغيرة .
- ألا تفهمين قصدى ؟

- من الأفضل أن تفصحى عنه .
- انه واضح كليلة القدر .
- فقلت عين بجديّة منذرة :
- هل عندك علم بما يحدث غدا ؟
- لذلك يهمنى جدا ما نستطيعه اليوم
- اليوم حقا ؟
- نعم . . نكتب كتابهما !
- يا للعجب !
- نحن أحرار فيما نفعل !
- كرهت عين الفكرة واستبشعتها . رأت فيها
- شراهة يجب أن تنبذ . اعتقدت أن أختها في حاجة
- ملحة الى حمام بمطهر مركز ، هتفت :
- لا يذكرنى ذلك بخير أبدا .
- احسان بنت أختك .
- أمونة . . يسعدنى أن يختارها بنفسه ذات
- يوم . .
- انها جميلة كما قرين . .
- لا أزوج طفلا لم يدخل الكتاب بعد .
- يفعلون ذلك فى الريف وهو مهد الحكماء .
- لا يفعل ذلك الا المجانين !
- اندفعت بركة بغتة نحو الحديقة كأنما شمت
- صيدا ، وساد الصمت منذرا بالشجن ، وانبعث
- صوت أمونة متغيرا :
- أهى كلمتك الأخيرة لى ؟

فقالَت عين بجفاء :

— بكل تأكيد •

— أنت .. أنت قاسية !

— أسأل الله لك الشفاء •

فقالَت بحدة :

— لست مريضة يا عين !

— الله وحده يعلم •

فتساءلت أمونة بمرارة :

— ترى أين المريض ؟

— لسانك حصانك يا أمونة •

قامت بشدة وهى تقول :

— طول عمرك تكرهيننى ..

— حقا ؟

— وتحسديننى !

— أحسدك ؟ !

— رغم مالك الوفير تحسديننى !

فقالَت وهى تنحى وجهها عنها :

— لا تستدعى الشيطان الى قلبى ..

فصاحت أمونة :

— انه مقيم فيه !

حملت احسان على كتفها وهى تجهش فى

البكاء ، مضت تغادر المكان بلا سلام ، تحول

غضب عين الى حزن ، قالَت بجزع :

- سأجذك في المرة القادمة في حال أفضل ..
- فجاءها صوتها قائلاً :
- لن ترينى ما حييت ..

٤

- فتح كتاب الشيخ العزيزى بابه ورياح
الخريف تحبو من مهدى الرطيب . عزمت عين
على ارسال وحيدى الى الشيخ .
- ستجد فى الكتاب التكريم ونور الله .
 - التكريم لأن الشيخ من رواد احسانها
 - الدائمين ، ونور الله لأنه ينبثق أول ما ينبثق من
 - الكتاب .
- غير أن عزت تساءل فى توجس :
- أليست الحديقة أفضل ؟
 - فمسحت على رأسه براحتها وقالت :
 - للرجولة أحكام .
- وتذكر عزت جماعات الصبيان والبنات وهم
يفادرون الكتاب فى العصارى . لا تفصح
وجوههم عن سعادة بما جاءوا منه ، ولا رضى
عن شيخه القزم المشوه . ورمقها بنظرة حائرة
فقالته :
- يحب الكتاب الأولاد الصالحون ، فى الكتاب

نتعلم ، ولا احترام لانسان بغير العلم ، واحترام
الشيخ واجب كاحترام الأم • اياك وأن تسول
لك نفسك الضحك منه فذلك حرام والله لا يغفره
لعبد !

انه يتذكر الشيخ العزيزى فصورته الغريبة
ماثلة في كل ذاكرة ، قزم مقوس الساقين أقعس
الصدر ، صغير القسمات كطفل ، يتمايل في مشيته
من جنب الى جنب متوكئا على عصا قصيرة
طولها ذراع أو دون ذلك ، كأنه لعبة مما تعرض
في الموالد ، وهيهات أن ينسى أنه رآه في يوم ممطر
وقد حمله فاعل خير على كتفه ليعبر به الطريق •
- أوصيك بصفة خاصة باحترام الشيخ ••

وكررت ذلك بصوت واضح فشعر بنذير
الفراق ، وبالتوجس من تجربة مجهولة •
واستطردت وهى تحد من نظرة عينيها الجميلتين:
- واسلك مع البنات السلوك الذى يرضى الله !
فتخايلت لعينيها الخميطة تحت ستار الليل
فتورد وجهه وتحرك رأسه ارتباكاً فتمتعت
بلطف :

- عن الماضى قد قبل الله توبتك ••

★ ★ ★

وحينما تلقى الشيخ العزيزى الخبر فى حجرة
الاستقبال - وهو يجلس على حافة مقعد مدلى

الساقين فوق سطح الأرض بشبرين - تهلل وجهه
وقال :

- طالما انتظرت هذا اليوم لعلى أرد جزءا من
ألف جزء من جميلك ٠٠

لكن عزت حين تربيع فى الصف الأول - فوق
الحصيرة - أمام سدة الشيخ بدا هذا شخصا
آخر ، لا رجب به ولا شجعه بابتسامة وكأنه لم
يره ولم يسمع به ٠ عجب أيضا للنظرة الثلجية
التي تستقر فى محجريه ، والصرامة التي تكسو
وجهه الصغير ، على حين جلس الصغار
والصغيرات فى صمت تلفهم رهبة وتتحكم فيهم
قوة مجهولة ٠ أين اللعبة التي تتابعها الأعين فى
الطريق بعطف وسخرية ؟ انه الآن يتسلطن فى
مملكته ، يمارس قوة غير محدودة ، الجريدة
منطرحه جنبه تهدد أيادى وأقدام المتمردين ٠
أيقن عزت أنه أسير ، بلا دفاع ولا امتياز ، يسرى
عليه ما يسرى على الآخرين ، وأضمر ألا يتكرر
حضوره مرة أخرى ، ولح سيدة فى نهاية الصف
تلاقت عيناهما لحظة فيما يشبه ابتسامة ثم
سرعان ما تجاهلته ٠ ضايقه جو المساواة المخيم
على المجلس ، الجميع سواسية فوق حصيرة
واحدة ، تخلت عنه الامتيازات التي ينعم بها فى
أى مكان باعتباره ابن الست عين وربيب الدار
الفاخرة ٠ انه وضع جديد لا يحتمل ولعل أمه

لا تدري عنه شيئا • ولح لصق سيدة بنتا تماثلها
 في العمر لم يرها من قبل • شدت عينيه بقوة •
 لها وجه ثرى مستدير وعينان سوداوان
 منعشتان • تركت في نفسه أثرا قويا وبهيجا لطف
 ألمه وأنساه حزنه • ترى في أى موقع من الحارة
 تعيش ؟ • هذه العصفورة التى أقصيت قسرا
 عن غصنها • انها البنت التى خطفتها الغولة
 فغامر ابن السلطان بانقاذها • ما أعذب صوتها
 وهى تردد وراء صوت الشيخ الرفيع « الحمد لله
 رب العالمين » • على أى حال فالكتاب ليس شرا
 كله • ولن يمسه الشيخ العزيزى بسوء •

★ ★ ★

وعندما جاء وقت الغداء جلس كالأخرين
 موجهها وجهه للجدار • حل عقدة المنديل وبسطه
 وراح يقطع الرغيف ، عند ذاك جاءه صوت عن
 يمينه مباشرة :

— ماذا عندك ؟

رأى صبيا فى مثل سنه ، فى عينيه ضيق ولكنهما
 مقبولتان ، فى فكيه قوة ، وفى أنفه فطس ، بدا
 بسيطا ومرحا • ساءه تطفله ولكنه لم يجد بدا
 من أجابته :

— جبن أبيض وحلاوة طحينية ••

— عال ، معى طعمية وسلطة طحينية • فلنأكل

•• معا

ولم ينتظر موافقته فبسط منديله حتى تماس
الحافتان ، أشار الى الطعمية باغراء ويده تمتد
الى الجبن ، ثم قدم نفسه قائلاً :

— حمدون عجرة ٠٠

فاضطر الآخر أن يقول :

— عزت عبد الباقي :

— أنا عارف ٠٠ ابن الست عين !

استاء من أن يتردد اسم أمه مختلطاً بالجبن
والطعمية وسلطة الطحينة ، لكنه لم يستثقل
حمدون وأعجبه نظافة جلبابه وطاقيته ، وقال
له حمدون :

— أنت غير جائع ٠٠

— أشبع بسرعة ٠

فلم يرتح حمدون للإجابة ولكنه التهم الطعام
بصراحة ٠

★ ★ ★

وغادرا الكتاب معا ٠ لم يفارقه حمدون
وسرعان ما أنس إليه ٠ وقال له حمدون !

— نلعب معا ونحفظ معا ونأكل معا ٠٠ هه ؟

فحنى رأسه بالإيجاب فقال الآخر :

— وقد يطلع لنا عفريت من القبو فمن الأفضل

أن نكون معا ٠٠

— لا أقترب من القبو ليلاً وأمى تحفظ القرآن ٠

وإذا به يهتف فجأة « بدرية » فتابع عينيّه

حتى وقعتا على « العصفورة » . نظرت البنت
نحوهما باسمه ثم اندفعت تجرى فسأله :
- تعرفها ؟
- جارتنا .. بدرية المناويشي ..
فأحب صداقته أكثر .

★ ★ ★

وتلقته عين بنظرة متفحصة ومشفقة تمتعت :
- مباركة عليك رحلة الرجولة .
فقال بفتور :
- يا له من مكان ثقیل ..
- عليك أن تحبه ، هو الذى يجعل منك رجلا
محترما ..
فقال بتأفف :

- جلست على الحصيرة كالآخرين ..
- كلنا أبناء آدم وحواء ، والمجتهد هو
الأفضل ، لذلك وضعت في منديلك طعاما كأطعمة
الآخرين ، وطعامك الآن ينتظرك ، لا تنفر من
أحد ..

فقال مجاراة لها :
- عرفت كثيرين ..
- حقا .. أنكر في بعضهم .
- حمدون عجرة ..
- آه .. ولد يتيم يعيش مع خالته ، وهى ست
مستورة وطيبة ، من أيضا ؟

فصمت في حيرة ، ثم قال :

— هو فقط !

— كثيرون ولكنهم تمخضوا عن واحد فقط !
وكم عدد البنات ؟

— أربع .

— جديبات عليك ؟

— الا واحدة .

— سيدة ؟

— نعم . وعرفت اسم أخرى عند مناداتها ،
بدرية المناويشي .

— آه . بنت أم رمضان ، لعلها آخر العنقود
من آخر زوج ، لقد تزوجت أمها خمس مرات
أو أكثر .

فتساءل باهتمام :

— لها خمسة أزواج في وقت واحد ؟

فضحكت عين وقالت :

— سوف تتعلم أن المرأة لا يكون لها الا زوج
واحد ، ولكنها قد تتزوج من آخر اذا طلقت .

فسألها باهتمام متزايد :

— هل تتزوجين أنت أيضا من آخر ؟

— كلا .

— لماذا ؟

— لأنى لا أريد . . . والآن هلم كل لقمة تسند
قلبك .

وقبيل المساء جاءت خادمة تعلن قدوم صبي
يدعى حمدون عجرمة .

٥

لم تكن حياته في الكتاب يسيرة فتلقى كثيرا
من الزجر ولكنه لم يجلد قط . عرف الشيخ
العزیزی أنه لا يستطيع أن يتجاوز معه حدودا
معينة . وتقدم عزت فوق جسر من العثرات ،
وربما أعانه وحمسه أحيانا نشاط حمدون
الموفور ، أصبحت صداقتهما حقيقة وقد عرف
مع الأيام جميع الصبيان ولكن بقي حمدون
الصديق الأوحـد . ورحبت عين بـحمدون ،
أعجبها منظره النظيف ورغبته المبكرة في الحفظ
ورجت أن يجد فيه عزت مشجعا على العمل .
قالت : ان الولد ذكي ومحـب للمذاكرة دون أن
يدفعه أحد الى ذلك . وتمنت له مستقبلا حسنا
يعوضه عن يتمه ، وأكثر من مرة قالت له : ربنا
يفتح عليك ، اذا واطبت على اجتهدك فلن تترك
التعليم لتتعلم حرفة يدوية .
وجعلت تدعوه للغداء يوم الجمعة . وبسبب
ذلك دعت خالته ست رمانة لزيارتها فتوطدت
بينهما علاقة طيبة . وكان زوجها تاجر أجهزة

سرا دقات يؤجرها في الأفراح والمآتم ، ربحه لا بأس به ولكن كان له من الأبناء عشرة ، رغم ذلك عطفست ست رمانة على حمدون وعاملته كأي ابن من أبنائها ، وكان قد ورث عن أبيه قطعة أرض صغيرة تنفع عند الضرورة للبيع والانتفاع بثمنها . واعترفت ست رمانة أكثر من مرة قائلة :

— انى أحبه لاجتهاده . . يندر أن تجدى مجتهدا في سنه .

هكذا بشرت الصداقة بخير للطرفين ووهبتهما سعادة بريئة سابغة ، وكصداقة الصبية لم تخل من نزاعات فارغة مثل هزيمة تلحق بأحدهما في الحجلة أو السيجة ، ولم يكن ابن الست عين ممن يقبلون الهزيمة بروح طيبة ، ولكن لم تتعد الخلافات قطيعة ساعة ، وسرعان ما يجيء التنازل من ناحية حمدون !

واللعب في الحارة كان تسلية لا مفر منها ، ثم بات هدفا سعيدا عندما انضمت اليهما سيدة وبدرية ، ولم يستهجن أحد ذلك طالما دار اللعب تحت الأعين وفي ضوء النهار ، واستأثرت « بدرية » باقبال الصبيين حتى شعرت « سيدة » بأنها تكلمة عدد ليس الا ، لم ينفعها مرحها ، وتوارى حظها مع دكنة بشرتها وأنفها المتكور الذى يعيد سيرة أنف الأم . انبهر عزت بوجه

بدرية رغم حداثة سنه ، وسبق قلبه سنه في
الانفعال بعاطفة مبهمه تستقطر الأشواق من
أرض خرافية لا وجود لها الا في الخيال • ولكي
يستأثر باهتمامها حكى لها عن داره ، أثاثها
ورياشها ، عن الحديقة والفواكه والأزهار ،
وقالت سيدة :

— أنا أعرف ذلك كله •

فقال عزت :

— ولكنها لا تعرف •

وقالت بدرية :

— نحن نلعب في الحارة فقط •

وقال حمدون :

— وسيدة تدخل الدار مع أمها •

فقال عزت لبدرية :

— فلتزرنّا أمك وأنت معها •

فقالت بدرية :

— أبى لا يسمح لأمى بالخروج •

وكانت سيدة تتودد اليه ، ما وسعها ذلك
ولكنه لم يكثرث لها ، وربما وردت على ذهنه
ذكرى الخميطة ولكنها ترد مقرونة بالألم والخوف
والخجل ، أما بدرية فانه يتطلع اليها بخيال
عجيب سعيد مرح يعد بأفراح الدنيا والآخرة •

وقضى عامين في الكتاب حظى فيهما بسعادة
لا تتحقق إلا في دنيا من نسج الخيال والبراءة .

★ ★ ★

وعندما هبت رياح الخريف من مهدها الرطيب
كعادتها في الأعوام السابقة أذنت هذه المرة
بفراق جديد ، حاد وأليم ، أنذر باخراج الولد
الثلث من جنته . اعترضه قرار جديد بالتوجه
الى المدرسة الابتدائية لأداء امتحان القبول ، ولم
يغره هذه المرة أن يجد حمدون في رفقته . أما
بدرية وسيدة فقد غادرتا الكتاب ، ومنعتا من
اللعب في الحارة ، فتر حماس عزت وخمدت
روحه ، نجح حمدون في امتحان القبول وسقط هو
في الحساب غير أن زيارة مباركة من أمه للمدرسة
غيرت النتيجة وألحقته بالمدرسة بلا ترحاب من
ناحيته ولا سرور ؛ ولم تنقطع سيدة عن مجاله
فهى تزور الدار عادة بصحبة أمها ، واعتاد
منظرها أكثر وأكثر ، فباتت ذكنتها مألوفة
وتكويرة أنفها عادية ومرحبها محبوبا وحديثها
لا يخلو من تسلية ، أما بدرية فلم يكن يراها الا
في النادر جدا من الأوقات ، غالبا بصحبة أبيها ،
يسرق منها نظرة خاطفة ، وتمضى هى جادة أكثر
مما يحتمل عمرها وكأنها لم تقاسمه عامين
أفراح الحياة . وكان لديه من فرص العمل
واللعب ، ما يشغله عنها ولكنه لم يستطع أن

يتحصر من نكراها ، ولا أن يمحو من ذاكرته
تعلقها الفريد بوجهها الثرى .

★ ★ ★

وبدا متعثرا في دراسته ، تمضى الأيام ولا
يحظى باستحسان واحد ، لا يأنس الى المدرسة ،
ويحن دائما الى الحرية والحديقة . وذات يوم
سمع تلميذا يقول وهو يومئ اليه :
- ما حاجته الى التعليم وهو أغنى شخص في
الحارة !!

فعجب من اصرار أمه على تعذيبه ، ولم يؤثر
فيه تفوق حمدون الا قليلا ، وكان حمدون يشجعه
على العمل ، ولولا مواظبته على المذاكرة معه
ما أصاب أى قدر من التقدم . وكان يقول له :
- عقلك ممتاز ولكنك كسول .
فتساءل عزت باستهانة :

- أمن المهم أن أكون مجتهدا !..
فقال عین وهى تتابع الحديث باهتمام :
- طبعا ، ما أجمل الناجحين ، العلم من
الایمان وأنت من المؤمنین الصادقین ..
أجل كان محبا للعبادات ومغرما بالحكايات
ولكنه حزن قبل الألوان :
واستطردت أمه باسمه :

- عليك أن تزيد من المذاكرة وأن تزيد من
الطعام ..

فقال حمدون مؤكداً :

— انه نحيف جداً ، في المدرسة يقولون ان والدته تنفق مالها على الفقراء وأن الابن لا يجد ما يأكله !

فضحكت عين وقالت بلهجة متوعدة :

— العلم والطعام ..

فقال حمدون :

— يشغل نفسه بالجنة والنار !

فقال عزت لنفسه بالجنة والنار وبدرية .

وهناك أمه التي تكون نسيج حياته وأحلامه وأفراحه ومخاوفه ! انها الصلة بينه وبين الله ، والصلة بينه وبين الحياة ، هي كل شيء ، وهكذا ينظرون اليها في الحارة . وقد ألف منذ يقظته الأولى ذهابها وإيابها ، مسيرتها المكثلة بالجلال والحب تحت مظلتها ، اجتماعها بالفقيرات في الحديقة ، وتعلم أن يعتد ذلك عبادة من العبادات الرائعة ، وعلى ضوء ما ترامى لأذنيه من تعليقات على نشاطها الكريم الموقور سواء في المدرسة أم في غيرها مضى ينظر اليها بعين جديدة ، ويقارن وهو لا يدري بينها وبين الأخريات . لم تكن الثرية الوحيدة التي تفعل ذلك ، حتى صدق حمدون وهو يقول له مرة :

— انها أم الحارة وليست أمك وحدك ..

ولكن من العجيب أن هذه القوة النادرة

لا تنتفعه في أشياءه الحميمة ، فلا عون ينتظر منها
على دروسه المعقدة ، ولا فرج يأتى على يديها
ليعيده الى جنة بدرية المفقودة ، انها تداوى
القلوب الجريحة وتتركه يعانى وحده ، تتركه
والأعوام تمر والكآبة لا تنقشع .

★ ★ ★

وذات يوم جاءه حمدون متألق البصر خفيف
الحركة ، ولسبب مجهول انقبض قلبه وتذكر
بقوة وحزن بدرية المناويشى . جلسا في القراندة
والسماء تمج رذاذا يغسل الأوراق ويطارد
العصافير ، وراح حمدون يقول بحماس عجيب :
- دنيا .. دنيا لا مثيل لها ..

فصدق اليه متسائلا فقال الآخر :
- أمس اصطحبني زوج خالتي مع بعض
أبنائه الى الكلوب المصرى .

- المقهى !

- بل المسرح ، شاهدت مسرحية من البداية
الى النهاية .

ووصف له تفاصيل الرحلة بكل دقة ،
الدخول ، الجلوس ، الصالة ، الستار ، المسرح ،
الممثلين والممثلات ، الحكاية ، الغناء ، كل شيء .
- هناك تضحك وتطرب وتبكي أحيانا ..

لم يستطع عزت أن يتخيل شيئا ذا بال

صورة الجنة أوضح في مخيلته وكذلك صورة
النار وقال حمدون :

— سوف تراها يوماً ما ٠٠ لكننا نستطيع أن
نحاكيها ها هنا ، في هذه القُرانة !
— كيف !

— سأحفظك ما يقال ٠ ٠

ودون تردد راح يقتبس المسرحية ، ويخلق
الديكور بالوهم ، ثم قال :

— أنت الآن فتاة تدعى جوليت وأنا فتى
اسمه روميو !

فقطب عزت متسائلاً :

— ولم لا يكون العكس ؟

فقال مطاوعاً ومتجنباً إثارة غضبه أو عناده :

— ليكن ٠٠

ودار الحوار القصير كما تخيله حمدون ،
وكان يمثل ما وسعه ذلك ولكنه لم يفلح في حمل
عزت على التمثيل ، تخيل عزت بدرية في دور
جوليت ٠ هذه هي الحكاية ٠ ولكن أين صاحبة
الدور الحقيقي ؟ ! ٠

وتابعت عين المنظر من شباك حجرتها فلم
تفهم شيئاً وقالت لنفسها ان الأطفال يجيئون
الى الدنيا بالأعاجيب ، وتلت آية الكرسي وقلبها
ينضج بالعطف على اليتيم ٠

★ ★ ★

وتغير حمدون تغيرا ملموسا ٠٠ فتنته بالمرح
لم تخمد أبدا ٠٠ ملاً بعض وقت فراغه بهواية
جديدة هي القراءة ٠٠ بشيء من الصعوبة كان
يقرأ ما تصل اليه يداه من اعلانات ، مجلات ،
قصص بوليسية ، واهتدى أخيرا الى ألف ليلة
وليلة ٠ ومنه تعلق عزت بالقصص البوليسية ،
فلم يقرأ بدافع الحب وحده الا القرآن والقصص
البوليسية ، وقال حمدون :
- ستكون العطلة الصيفية رائعة ، سنمش
كل حكاية نقرأها ٠٠
فقال عزت :

- لننقل المسرح الى الحارة ٠٠
- فكرة ٠٠ هل تضايقت أمك من اللعبة ؟
- أبدا ٠٠ ولكن لعلنا نضم اليها ممثلات !
فضحك حمدون وراح يمسح على حاجبيه
البارزين ويقول :
- فكرة مستحيلة ٠٠
- أليست بدرية جارتك !
- ولكن بينى وبينها جدارا أقوى من جدار
القبو العتيق ٠٠
ولكنه يراها ، ربما كل يوم ، ويستحق لذلك
الحسد ٠٠

في ختام العام الرابع نجح كلاهما في

الابتدائية • كان النجاح بالقياس الى عزت
معجزة • قدمت لهما الحلوى في الحديقة • في
الثانية عشرة من العمر أعلن حمدون عن رغبته
في أن يصير ممثلا ومؤلفا • ابتسم عزت ولم
يصدق • وقالت عين :

— اختر عملا لا لعبة ••

كان حماسه أقوى مما يتصوران • وسألت

عين وحيدها :

— وأنت ؟

مط بوزه في غير مبالاة • انه يحب شيئين
متنافرين ، العبادة والسيادة • يعتز بأمه
وبداره ، ويهوى فؤاده الوجاهة • لم يكن متكبرا
ولكنه يضمن أن يكون خليفة أمه • ربما في الدار
والحارة ، أو في الدار وحدها ! • وتمتمت عين :
— أود أن أراك عظيما ••

ولم يدر ما العظمة على وجه الدقة ولكن
فؤاده هفا اليها ••

٦

عهد المدرسة الثانوية كان عهدا جديدا .
 فتحت نوافذ لتيار من المعلومات الجديدة . ثم
 تدفق منها هواء دافئ يفتح الأكمام وينضج
 الحنايا ، ونبت شخص جديد في حنايا عزت .
 وحمدون أيضا . فأنقسمت أرنبه أنفه ، وغلظ
 صوته ، وتقلقل بالأشواق المبهمة . وترحمت
 عين على عم عبد الباقي وقالت انه يحاكيه رغم
 أنه لم يعرفه . وقالت انه من الآن فصاعدا
 ستهب النساء محملة بالعبير والمخاوف . في
 ذلك العهد صار حمدون قارئاً لإريب فيه ، متنوع
 القراءات منقبا عن أى كلمة ذات علاقة بالمرح ،
 وانغمس عزت . في أوقات فراغه - في قراءة
 القرآن والقصص البوليسية .

وكاد يعتاد السلوان عن بدرية لولا لقاء عابر
 غزاه بقوة من جديد . كان يمضى لدى الغروب
 في العطفة نحو بيت حمدون وكانت بدرية تعبر
 العطفة نحو بيت مقابل . تشجعت بقرب المسافة
 وغياب الأب فخرجت في الفستان سافرة ، شبه
 أنثى ناضجة بوجه أكثر ثراء ونقاء ، وقامة
 ممشوقة ، وضميرتين مرسلتين حتى نهاية

الظهر • كادا يتلاقيان في نقطة واحدة تحت مظلة
الغروب ، تبادلنا نظرة باسممة بالذكريات المشتركة
عامرة بالمودة وسرعان ما همس :

— أهلا ••

فهمست في حياء :

— أهلا ••

وأسرعت في مشيتها متعثرة بالخطأ ، فواحة
بالشباب المبكر • وتوقف تحت بيت ست رمانة
والغيب يقتحمه بعمق فيتحول رويدا الى شبح ••
أراد الوقوف ليثوب الى رشده ويسترد توازنه
وتنقصد أوأصره بما حوله من جديد •• أدرك
بوجدان جديد أنه قضى عليه بأن يحب بدرية الى
الأبد • وتبدى له الحب كالحياة نفسها في جاذبيته
واستبداده • وتخلى عنه احساسه العميق
بالسيادة فشعر بأنه وحيد • ولم يكن يحب
المكث طويلا في بيت حمدون لاكتظاظه بأهله
فسرعان ما غادراه معا • مضيا نحو الكلوب
المصرى ، وفي الطريق قال عزت ليروح عن نفسه :

— رأيت بدرية وأنا ذاهب اليك •

فتمتم حمدون :

— كثيرا ما أراها ••

فاستسلم لدفعة داخلية قائلا :

— انى أحبها ••

فقال حمدون ضاحكا :

- مثلك تماما !
- تساءل عزت بانزعاج :
- تحبها أيضا ؟
- أكنت تتوقع أن أكرمها ؟
- كلا طبعاً .. ولكنى أعنى بالحب شيئاً آخر .

فقال الآخر بهدوء :

- ليس بهذا المعنى .
- أصدقنى القول !
- متى عرفتنى كاذباً ؟

ارتاح نوعاً ما ولكن قلبه لم يعرف اليقين ، وهو لم يرغب فى شيء ويمتنع عليه باستثناء عالم البنات . لكن اليوم غير الأمس . انه يحلق ذقنه صباحاً بعد صباح . ربما ليعجل طلوع شعره بيد أنه لا يدري كيف يبلغ رسالة حبه فى حارته ذات القضبان العتيقة . اذا رفع رأسه ارتفعت معه مائة رأس متسائلة مستريية ، وما زال يرفل فى غشاء الحياء والتقوى الذى نسجته يد أمه بأصابعها الطويلة الناصعة . والسهو عذر ولكنه لا يخلو من الحساب العسير وأين المفر من عين الله الساهرة ؟ !

وقد صار من المترددين على المسرح باغراء حمدون المتواصل . وبات حمدون يحلم بالتأليف ويحاوله سرا فلا يطلع عليه أحدا الا عزت . وكم

ود لو يغير مجرى حياته ولكنه استمر في التعليم
بهدف الاستقرار في وظيفة • عزت يواصل التعليم
بدافع الكبرياء وارضاء لأمه •

★ ★ ★

ولم تغفل الأم عما يغلى في داخله •• أشفقت
من أن يزل ، من أن يعصى الله جل جلاله ، ورفضت
أن تهرب من تحمل مسئوليتها ، أو أن تتركه
وحده في مواجهة الشيطان ، وتتشجع بالظلمة في
الحديقة وهي تجالس في أمسية من أماسي الربيع
فتقول له :

— أن لي أن أعاملك كرجل ••

فضحك ضحكة مقتضبة • أما هي ففكرت
بشقيقتها أمونة •• أرادت أن تصالحها كثيرا ••
أرسلت إليها أم سيدة •• زارتها بنفسها •
أرجعتها الى زياراتها السابقة ولكن أمونة ظلت
متحفظة •• عزمتم عين على أن تصالحها بطريقة
عملية •• قالت :

— عزت •• من أصول التقوى أن نصون
أنفسنا بالزواج ••

أضاعت لفظة الزواج الخمييلة فتبدت بدرية
متورة ، وتمتم عزت بدهشة :

— الزواج !

— نعم •• انك رجل !

— لم أحصل بعد على البكالوريا ••

- أنهم يتزوجون بلا شهادة .
- فتساءل عزت ضاحكا :
- هل تستعينين بأُم سيدة ؟
- بل عندنا العروس ، احسان بنت خالتك . .
- احسان جميلة ، تميل الى الامتلاء أكثر مما
- ينبغي مما يندر بأنها ستكون في حكم خالته أمونة ،
- وهو لم يشعر نحوها بأى ميل حقيقى . قال
- بوضوح :
- لا . .
- فتساءلت باستياء :
- لماذا يا حضرة ؟ . . البنت كاملة . .
- ربما ولكن لا حيلة لنا فى ذلك .
- فسأله بأسف :
- ألا تعيننى على استرضاء أختى ؟
- ليس عن هذا السبيل .
- هل تكره فكرة الزواج الآن ؟
- فقال بصراحة :
- الحق أنى لا أكرهها . .
- فتساءلت باهتمام :
- هل عينك على عروس أخرى ؟
- نعم .
- فقال بقلق :
- تحدث أمور من وراء ظهرى ، لم لم
- تصارحنى من أول يوم ؟ من ؟

– بدرية المناويشى ..
أخذت لحظات فانداح الصمت ثم قالت بنبرة
أسفة :

– لا ..

– لا ؟ ! .. ألا تعجبك ؟

– أمها مزواجة ..

– انى أتحدث عن البنت لا عن أمها .

– البنت لأمها !

– حكم غير معقول ..

– لا خلاف عليه .

– لا أصدق ذلك !

– أمك لا تخطيء أبدا ..

فقال بشيء من الحدة :

– دعينى أجرب حظى ..

فقالت بتوسل :

– لا تستهن برأى أمك .

فقال بضيق :

– لا أستطيع أن أستهن كذلك برغبتى ..

– انى شديدة الرغبة فى تزويجك ولكنى

حريصة على سعادتك .

فقال بقوة :

– لن أتزوج الا بمحض رغبتى الخاصة ..

فتأوهت قائلة :

— هذا صوت جديد يا عزت ، أنت طبعاً حر ،
ولكنى غير راضية ٠٠
انقبض قلبه ، لم يهن عليه اغضابها ، وهل
يستطيع أن يخطو خطوة بغير رضاها ؟ قال :
— لولاك ما فكرت في الزواج الآن قط ٠٠
لم تنبس ٠ ثقل عليه صمتها ٠ أخذ يتعذب من
الداخل ٠ قال بحسم :
— لننس ما دار بيننا من حديث ٠٠
لبث وحده في الحديقة يعد ذهابها ، شعر بأنّها
ما زالت قائمة في مكانها ٠ أحس غضباً قاسياً
يجتاحه نحوها ٠ كان أشبه بالكراهية ٠ غير أنها
كراهية عابرة ٠ سرعان ما أخلت موقعها لأسر
الحب ونزله ٠ لكنه استطاع أن يراها بعين ناقدة
كأنما استعارها من زفرات الصراصير ٠ انها
تتحول اذا شاءت الى صخرة صلبة ٠ وينضب
معين الرحمة من قلبها ٠ هذه المرأة العجيبة التي
تؤاخي الفقراء وتصادق القطط وتناصب ابنها
الغداء ٠ وكم خوفته من الشياطين وها هو أسمع
شيطان يتجسد في عنادها !

★ ★ ★

وقالت عين وهى تتنهد في حزن بالغ ان الولد
عنيد ٠ عنيد مثل أبيه ومثل أمه أيضاً ٠ وصممت
ألا تبيعه وهو جوهرة حياتها ٠ هو أيضاً أحق
مثل أبيه ٠ ولولا أن عم عبد الباقي أذعن في

النهاية الى مشيئتها لضباع مثل ذرة غبار ، أجل
انه يحب البنت ، والبنت جميلة حقاً ، ولكن
ما قيمة الحب المترع بالضلال ؟ • والحب يحرره
الزواج وعند ذلك لا يجد بين يديه الا امرأة تحلم
برجل آخر • هكذا عاشت أمها متنقلة من رجل
الى آخر • انى مسئولة عنه اليوم ، غدا يستقل
عنى ويرتكب حماقاته •

واستدعت أم سيدة وسألتها بجفاء :

— ماذا تعرفين عن عزت وبدرية ؟

فذهلت المرأة وتساءلت بدورها :

— ماذا عن عزت وبدرية ؟

فهمت بتحذير :

— اياك والمكر •

— معاذ الله •

— ماذا تعرفين اذن ؟ ••

— أستغفر الله العظيم •

— لا يتحرك قلب فى حارتنا الا وأنت معه فى

نبضه !

فقالت بحرارة :

— لا تهمنى الاشاعات ••

— تهمنى أنا ••

فنفتخت أم سيدة وقالت بصوت منخفض :

— يتحدثون عن حب ، انهم كما تعلمين

يصنعون من الحبة قبة ••

- يتحدثون عن حبه لها ؟
- أجل ..
- وماذا يقولون عنها ؟
- لا شيء ، أنت تعرفين أباهما ..
- وكيف يثبون صدق رأيهم ؟
- كلام فارغ ، لا يقوم على أساس ، نظرة عابرة مثلا ..
- فقالت بأسى :
- قد يقود ذلك الى فضائح ، اصدقيني يا أم سيدة ، هل تقابلا ولو مرة واحدة ؟
- أستغفر الله .. البنت تعيش في ظل أب صارم -
- هل عرفت أمها ؟
- طبعاً .
- ما رأيك فيها ؟
- ليس بالرأى الحسن ..
- هل علمت بما يشاع عن ابني ؟
- لا أستبعد ذلك ..
- والأب ؟
- مستحيل .
- هل حدثتك أم بدرية بهذا الشأن ؟
- كلا ، ولكنها طلبت مني البحث عن عريس مناسب ، وألحت الى سى عزت وعلاقتي الوثيقة بوالدته ، ولما كنت على علم برأيك فيها فقد

اعتذرت بحجة أن سى عزت ما زال دون سن
الزواج .
واقترحت حمادة الافندى .
- وماذا كان رأيها ؟
- لم يملأ عينيها .
فقالت عين ساخرة :
- طبعا ، ما دامت تحلم بالعلالى .
ورمتها بنظرة قاسية أخجلت عينيها وقالت :
- وأخفيت عنى ذلك كله .
فقالت بحرارة :
- لم أشأ أن أغضبك بكلام يجىء من ناحية
أم بدرية .
فمالت نحوها متجهمة وقالت :
- ولكنك لن تخفى عنى كبيرة أو صغيرة
تخص هذا الموضوع ؟
فقالت وهى تتنفس بارتياح لأول مرة :
- أعاهدك مع ذلك والله شهيد .
ولما غادرتها أم سيدة أفرغت قلقها فى بركة
فراحت تهددها وتهمس لها :
- انى أتعذب يا بركة فادعى لى بالسلام .

٧

مضى الحب ينمو ويتضخم مثل شجرة بلخ •
 وكان يسلى همه بالمرح ولكنه يغرق وقت فراغه
 في القصص البوليسية ، وكلما طالعه حمدون
 بوجهه القوى المشرق توجس خيفة غامضة ،
 وغبطه على تقدمه وعبادته لهدفه • وردد عزت
 حكاية حبه كثيرا فكان حمدون يشاركه همه
 بحرارة الصديق المحب ، قال له مرة :

– يخيّل الى أن والدتك تسيء الظن بالحب •
 فقال عزت :

– انها تسيء الظن بأم البنت وهذا ظلم ••
 – الحب أيضا متهم في حارتنا ••
 – قصص الجريمة أجمل من الواقع !
 – أجل أجمل من واقع بلادنا •

وراح يتحدث عن الاستعباد • وكان يهتم
 بذلك ، ويتزايد اهتمامه بتقدمه في العمر • ولم
 يخل حديثه من عبارات هموية • ولم تحرك هذه
 الشئون قلب عزت بجدية مثل صاحبه ولكنه قال:
 – بوسعنا أن نقاوم الاستعباد ولكن كيف

نتصرف مع أم مثل أمي ؟

فقال حمدون :

— ومع ذلك فلا ينكر أحد جمال ابنة خالتك !
فحنق عليه وثارت مخاوفه الغامضة من
جديد .

★ ★ ★

وحصلا على البكالوريا في عام واحد . وهنأتها
عين ووجهها يطفح بالبشر ولكنه قال لها :
— لا . . انتهى الحب بيننا !
فلم تأخذ قوله مأخذ الجد وقالت مازحة :
— أتدري ما عدد البنات اللاتي يحلمن
بالزواج منك ؟

— ولكني أريد واحدة فقط .
— ما تريدها الا لأنني لا أريدها .
— بل كأنك ما ترفضينها الا لأنني أريدها . .
— أحب أن أروى لك نواذر أمها ؟
— أمها لا تهمني ألبتة . .
— انها كامنة في أعماقها . .
— هبى أنه زواج خائب فهل أعجز عن الطلاق ؟
— والخيبة ؟ . . أتظنها تمر بلا عواقب ؟

★ ★ ★

في أثناء الصيف اختار عزت أن يلتحق بمدرسة
الحقوق . أما حمدون فعزم على أن يتوظف ليخفف
عن خالته من ناحية ويهب بقية يومه للمسرح .
وفي ذلك الوقت عرف أن عبد الحميد الكومي
خطب بدرية وأن الفاتحة قد قرئت . اقتلع الخبر

قلبا - وربما أكثر - من جذوره ، وتبدت الحديقة
لعيني عزت صفراء تنفث ريحا سامة • أكان
يعتمد على سحر الحب الكامن وحده ؟ هل تصور
أنه - سحر الحب - قادر على حفظ حبيبته لحين
قدرته على الخروج من سلبيته ؟ • وهتف بأمه
ثقة منه في قوتها غير المحدودة :
- اصنعى شيئا ••

فتساءلت بجزع :
- أتريد أن تخطف بنتا من رجلها ؟
- أنت الذى مكنته من خطفها !
فتمتت بحنان :
- الخيرة فيما اختار الله •
ورماها بنظرة حزنت لها ومضى • ووجد
حمدون جياشا بالانفعال • وقال عزت :
- انى أحترق وكان ينبغى أن أحرق ••
فتساءل حمدون :
- هل أنتهى الأمر ؟

واصطحبه الى والد بدرية ، ورجاه أن يبقياها
على ذمته حتى يستقل بنفسه ، فقال الأب :
- لقد قرأنا الفاتحة ، وكان بوسع والدتك أن
تتكلم لو توفرت لها الرغبة ••
فقال حمدون :
- هو الذى يرغب ••

فقال الرجل :

— انى رجل مستقيم لا أتعامل بالحيل !

★ ★ ★

عرف عزت الوحدة وهو منغمس في خضم
الناس . حزن جزن القوى عندما يغلب على
أمره . . أدرك أن جأه زائف وأنه يستمد نوره
من أمه . انه في الواقع حقير فقير عاجز . أعماه
الغضب حتى فقد الرشيد . تفجرت منه قوة
حطمت رأس أمه ، انها قوة شريرة تنهادر في
رداء ملاك ، قتلها سبع مرات كل مرة بأداة
خاصة . وماتت حتف أنفها مرات أخر ، لو كان
في قوة حمدون لغامر مغامرة فريدة مرحبا
بالصعكة . لكنه أسير الحديقة والوسائد
الناعمة وتلك القوة الغامضة المجهولة . ولشدة
ارتباطه بالحياة فقد الحياة الباهرة . انه وفي
للأسر ليشدوا أغاني العذاب ، وستجلو بدرية
عن مجال أمه بعد أن أرسيت فيه طابعا
لا يبيد . وكتب عليه أن ينتظر أملا لا يعود وأن
يبحث عن كائن ليس له وجود . واللعنة على
الكبرياء التي يلقتها غر في مهد عبودية .

★ ★ ★

وفي حومة النضال العقيم تلقى من حمدون
رسالة . ألم يجتمع به أمس وكل يوم !!
عزيزى عزت . .

عليك أن تفهمنى باسم صداقة العمر • انها
صداقة حقيقية متينة ونقية • اياك أن تسيء بى
الظن • لقد وطنت النفس على التضحية تحت
شرط أن تفعل أنت شيئاً • لكنك أعلنت عجزك
وسلمت بالواقع • عند ذاك قررت أنه من حفى
أن أعمل • انى مثلك فى الحب ولكنى لا أتركها
تذهب مع الكومى • سنهرب معا لنتزوج بعيدا
عن الأهل والحارة • معى مال قليل من ثمن
الأرض سأعتمد عليه حتى ألحق بالوظيفة • لن
أتخلي عنها كما لن أتخلي عن المسرح • وستبقى
صداقتك معى وذكرياتنا الجميلة • لا تسيء بى
الظن وتقبل تحياتى • «

حمدون عجربة

قرأها مرات قبل أن يسيطر على معانيها •
وقتل حمدون مرات - أكثر من أمه - قبل أن يفهم
موقفه • شد ما أخفى عنه حبه • حقا انه لمثل
ماكر • لم يغفر له رغم أنه لم يتهمه • ربما كان
يسخر منه • ربما كان من الأفضل أن يأخذها
الكومى • اعتاد أن تنفذ رغباته قبل أن يجهر بها
فماذا جرى من وراء ظهره • غصت الدنيا
بالمجرمين أمثال عين وحمدون وبدرية • أصبح
القتل لا يجدى • أقطع من ذلك أن تغرورق العينان
بالدموع • أن تعمق صفرة الحديقة وتموت

العصافير • أن يمسي بلا حبيبة وبلا صديق
وبلا أم •

وانتشرت حكاية الهرب في الحارة كالغبار في
يوم عاصف • لفحته العاصفة باعتباره بطلها
المهزوم • احترق والد بدرية وأمها وست رمانة
خالة حمدون • اشتعلت خصومات • سجلت
الشائعات للحادث حكاية فاضحة متكاملة •
طلقت أم بدرية في أثر شجار عنيف •

وكان يجلس في الخميلة في أصيل قائظ عندما
رأى ظل أمه يفرش الأرض أمامه بين الشوح
والجدول • اقتربت وهي تقول :

— لم نتبادل كلمة منذ أيام ، انه الجحيم ••
رأى وجها متهدلا وخامدا ، وقد حلت نظرة
خابية في مكان الألق البهيج • لم يعطف عليها
وحول عينيه عنها • همست وهي تجلس :

— يجب أن تعرفني أكثر ••

فانتقم منها بالتمادي في الصمت فقالت :

— أن لي أن أعترف لك بأشياء ••

في الصمت ارتفع نقيق الضفادع وزقزقة

العصافير • واصلت الحديث :

— اهتممت بمعرفة كل شيء ، فكرت في الازدعان

لمشيئتك ، فجاءتني معلومات غير متوقعة ••

أنصت باهتمام ولكنه لم ينبس •

- كان ثمة حب متبادل بينهما وبين حمدون ،
 ذاك أمر الله ولا لوم على أحد ..
 فهتف وهو لا يدرى :
 - كان يخدعنى !
 - أبدا ، انه فتى أمين ، لم يكن فى موقف سعيد ،
 لا أدرى ماذا كان يدور فى ذهنه ، ولكنه على أى
 حال لم يخطئ فى حقه .. -
 وتنهدت بعقب واستطردت :
 - اضطررت الى الاصرار على الرفض ولم أر
 خيرا فى كشف الحقيقة ..
 قربت وجهها المحزون منه حتى لثمت جبينه ،
 وقالت :
 - لا تستسلم للحزن ، الحياة أقوى من كل
 شئ ، سيجيئك السلوان بأسرع مما تقدر ،
 وستجد من هى خير منها ..
 عند ذاك جاءت أم سيدة تتقدمها نحنحة فظة .
 غادر المكان والمغيب يستفحل ، وفى الممر التقى
 بسيدة قادمة لتلحق بأما . تصافحا . وفجأة
 اشتعل بلا تمهيد ولا مقدمات ، وبلا سبب فى
 الظاهر . أخذ بما اجتاحه . لم يترك يدها .
 مضى الى الداخل جاذبا يدها معه . أذعنت بلا
 مقاومة تذكر متشجعة بالظلمة . لم ينبس
 بكلمة ، ضمها اليه ، شملها ذهول أخرس .
 أطاع قدرا جامحا وغامضا وبلا أدنى تفكير فى

العواقب وكأنه يعبث في الظلام وحده بلا شريك •
وتفشى في الوحدة المطلقة اذعان ذليل ورغبة
دفيئة وذكرى أسرة • وحفرت في لوحة الليل
السوداء نقوش لا تمحى ••

٨

لم يعد الحب هو المحتل الوحيد للمكان •
زاحمه قدر جديد هو الخوف • وتناسى الحب
أحيانا ليرامق الشبح الجديد • وهو شبح ثابت
لا يتزحزح ولا يهن بمرور الزمن • ومن الأخطاء
خطأ لا ينسى يطارد ويطالب بحل • وسيدة في
ذاتها لا شيء ولكنها بسبب الخطأ صارت كل
شيء • انها الآن تستكن في ركن من الوجود
ضئيلة لا ترى غائصة في ضعفها ولكن صوتها
يدوى مثل صرار الليل • لقد مات أبوها من دهر،
أخوها الأكبر في السجن والأصغر مهاجر • أمها
ربيبة نعمة أمه ولكن الخطأ قوض بناء وأقام
محله بناء جديدا • ما العمل ؟ ما اعتادت
أعماقه أن تقترح حلولاً ولكنها دأبت على القتل •
ونظرة سيدة التي ترمقه بها عند اللقاء العابر
راسخة في خياله • مفعمة بالدلالات المشتركة ،
ذليلة وجلة يائسة تؤكد له أن ما كان لا يمكن أن

يمضى كأن لم يكن • انها حزنه الخفى حين
يتجسد ، وأحيانا تند عنها اشارة خفية تحكى
مأساة متكاملة ، استغاثة حارة صامته ،
تستوهب احسانا أو رحمة كآخر انتفاضة
للضفدع قبل أن تسلم الروح • ما العمل ؟
وتذكرو هو كاره حمدون • لماذا ؟ • ربما
لثرثته الملحة عن الأقوياء والضعفاء ، لآرائه
التي يريد أن يصلح بها الكون •

وكان يقرأ فصلا في رواية بوليسية عندما خيل
اليه أن صوت أمه يحتدم في الحديقة • نظر من
نافذته فرأى المرأتين - أمه وأم سيدة -
تسترسالان في حديث ما • داخلته كآبة مثل جو
المغيب الخيم • سيحدث ذات يوم أمر ما • أنه
يتوقعه كما يتوقع مريض الفم ضربان ضرسه •

★ ★ ★

وسمع خطوات أمه قادمة فلعن مخاوفه ومرقى
من الخوف الى التحدى • جلست على ديوان
يتوسط الحجرة بوجه شاحب • أرعشت بيدها
مروحة عاجية بحركة عصبية فوردت ذهنه فكرة
غريبة بأن معجزة أمه ستتخطم على يديه • وقالت
عين بصوت متهدج :

- ماذا ينقص هذا البيت ؟

وتريثت قليلا ثم أجابت نفسها :

- يتلى فيه القرآن ، يعبقه البخور ، ترعاه

الحسنات والنوايا الطيبة ، فكيف يندس الشيطان
في أركانه ؟!

آه .. لقد وقعت الواقعة .. وعليه أن يتظاهر
بمواصلة القراءة .

وتساءلت عين بأسى :

— ألم تشعر بوجودى بعد ؟

فتساءل ببلاهة :

— ماذا ؟

— ألا تخمن ما ورائى من حزن ؟

أغلق الكتاب ونظر الى تهاويل السجادة
الفارسية في استسلام .

— ما هذا الذى كاشفتنى به أم سيدة ؟

فشحب وجهه ولم ينبس . تأوّهت قائلة :

— لم أعذبك ؟ .. لا معنى للتأنيب بعد فوات

الوقت ..

رأى بوضوح — ربما لأول مرة — مبخرة
فضية محمولة بساقين من النحاس تستقر أسفل
ستارة أرجوانية .

— اسمع يا بنى ، لست أول شخص يعيث به
الشيطان ، وما يهم حقاً هو تصرفنا بازاء
ما نرتكب من أخطاء ..

وتنهدت بصوت مسموع وقالت :

— نحن أغنياء ولكن لا قيمة لذلك ، وانما

قيمة الانسان تتحدد في علاقته بربه ، غير أننا
نحاسب على قدر قوتنا ..

وجد نفسه ينزلق في طريق وحيد مسدود .
واستطردت عين :

— قد نخطيء ولكن لا يجوز أن نظلم ، علينا
أن نصلح خطأنا ، وكلما جاء للإصلاح على غير
هوانا اقتربنا أكثر من عفو ربنا ..
ورفعت رأسها كأنما ترنو الى القنديل وقالت
بحزم :

— ستتزوج من سيدة في أقرب فرصة ..
ثم نهضت وهي تقول :
— انه قرار لا يقبل المناقشة ، وما يشهد لك
بالطيبة أن ترحب به ..

وتلاحقت الأحداث كأنما تقع لشخص آخر ..
وذاع الخبر في الحارة فأحدث دهشة عامة ، كما
صعق بيوت العرائس المرشحات لجمالهن
وأصلهن لمثل هذا العريس الفريد . وكيف ترفض
الست عين بدرية المناويش لتقبل سيدة بنت أم
سيدة الخاطبة ؟ . أيرجع السر الى مهارة أم
سيدة ؟ . أيجد تفسيره في شذوذ طراً على ذوق
عزت ؟ . وكالعادة تمطى التأويل البسيء لينفث
ظنونه فأصاب الحقيقة هذه المرة بمحض
الصدفة . هكذا تزوج عزت وهو في الثامنة عشرة

من عمره زواجا مناقضا لذوقه وميوله . وهكذا انتقلت سيدة الى أجمل دار في الحارة لتحتل أرفع مكان فيها . هكذا صارت أم سيدة حماة الوجيه الأول . وثارت أمونة بثورة حاقدة فقطعت علاقتها بشقيقتها الى الأبد . واستسلم عزت في الواقع كما يستسلم الى قدر لا مفر منه . أجل لم يعتده قضاء نهائيا ، ولكن حلا ضروريا مؤقتا حتى يتخلص منه في الوقت المناسب . وتضاعفت أشجانه على حبه الضائع فاعتبر المحنة كلها جزاء عادلا يستحقه لضعفه وتردده . ومن أول لحظة أدركت سيدة أنها لا تحظى بحب زوجها ولا حتى برضاه . وأنها تتجرع حياة باردة ، حيوانية مجردة ، لا عطف فيها ولا احترام . وبدافع من غريزة الدفاع عن النفس انطوت تحت جناح عين ، قوهبتها من قلب محروم جريح كامل الولاء والوفاء . وأوصتها أمها بالصبر والتزام الأدب . قالت لها :

— لك رب فليكن اعتمادك عليه وحده ..

فقالت لها الفتاة :

— أفضل أن أرجع الى بيتي ..

فقالت المرأة باصرار :

— لا تفرطى في النعمة ، واعلمي أن الرجال

لا يثبتون على حال ، وما الحياة الزوجية الا معركة ..

وفي ذلك الجو الشحيح بأى عذوبة حملت
 سيدة ، ثم أنجبت « سمير » . أصبحت أما ،
 أصبح عزت أبا ، أصبحت عين جدة ، فحتى في
 أسوأ الظروف استطاعت أن تغير أبعاد كونها
 الصغير ، وأن تفجر فيه من ينابيع العواطف
 الجديدة ما لا عهد له به . تحرك قلب عزت .
 جاءه حب جديد ليزاحم حبه القديم الذى اعتاد
 إله حتى إلهه . أما عين فجنت بالوليد وعشقتة ،
 وطمح قلب سيدة الكسير إلى حياة أفضل .

وخاب عزت في دراسته القانونية ، لا الهمة
 وجد ولا الحماس ، فانقطع عن المدرسة بعد
 عامين من التحاقه بها . وضاق بحياة بلا حب
 ولا صداقة فعزم على التوظف . أراد أن يظفر
 بقدر من الاستقلال ، وأن يملأ فراغه ، وأن يجرب
 الحياة الرسمية التى تفتن الكثيرين .

والتحق بوظيفة بوزارة المعارف . وسرعان
 ما نشب التنافر بينه وبين الوظيفة ومناخها
 العدوانى . ونصحته أمه بأن يدعو موظفى
 إدارته إلى وليمة في الدار تعزيزا لمركزه ودفعاً
 لمكر الماكريين . ومضى عليه شهر في العمل .
 ولدى عودته سألته أمه :

— ألم تحدد يوماً للوليمة ؟

فأجابها بهدوء :

- • قامت معركة بينى وبين رئيسى
- فحدجته باهتمام فقال :
- • قدمت استقالتى
- وأغرق فى الضحك

٩

يقول الراوى :

و يمر عام فى أعقاب عام • يغوص حبه القديم
فى غلاف من السكينة والفتور • وتظل علاقته
بسيده باردة فى مشاعرها ، خشنة فى معاملاتها ،
لا تند عنه كلمة طيبة ، ولا يتردد عن الاساءة
اليها لأقل هفوة ، وأحيانا بلا سبب ، وكان يمضى
بسمير بعيدا عنها ليمارس حريره فى ملاعبته
وتقبيله • وضاق بحياته بعد غياب بدرية
وحمدون ، ولم تكف القصص البوليسية للمء
الفراغ ، فانزلق الى غرزة يسلى بها همه • ومن
ثم عرف أين يقضى ليلته حتى مطلع الفجر ، وأن
يهرب بالنوم حتى الظهيرة • وتابعت عين نظام
حياته الجديد بقلق ، وكانت تقول له :

• نحن الذين نصنع سعادتنا بأيدينا •
وحنق عليها لسعادتها الدائمة • انها تمضى
كالنحلة تمج رحيق الاحسان والحب • تتوغل فى

الحلقة السابعة بحصانة تامة ضد أعراض
الشيخوخة ، تتجول بلا انقطاع ، تحظى بالنشاط
والرشاقة والفرحة المتألقة • وكأنما تقصد
تعذيبه وهى تقول :

— يا بنى تعامل مع زوجك بالرحمة ، انها
امراة نادرة المثال فى صبرها وأدبها ••
لقد ساءه أن تثبت له براءتها فى موقفها من
بدرية ، انه نهم الى ادانتها • ويذكر لها موقفها
المتعنت من حبه قبل أن تعرف ما بين بدرية
وحمدون من حب • انها مدانة على أى حال •
وهو ممزق بين حبها وكراهيتها ، يحلم أحيانا
بموتها • ولكن كيف يمكن أن تموت هذه المرأة
البارعة ؟ • سوف يسبقها الى القبر • سيعيش فى
أسرها عمره كله • انها تستمد من الجهول قوة
خارقة • ولكن هل يتحمل الحياة بغير شعوره
الباطنى بوجودها فى مكان ما فى الدار أو الحارة ؟
وتكرر حثه على معاملة سيدة بالحسنى
فيتساءل ما الذى جعله يبقى عليها طيلة الأعوام
الماضية ؟

الحق أنه لا يحبها ولا يريد لها • من أجل
سمير ؟ أم أنه الضعف الأبدى الذى يمنعه من
العمل ؟ وقال لعين ردا على توسلاتها :
— أن لى أن أطلقها ••
فبسطت يديها نحو السماء متممة :

- اللهم جنبه قسوة الحيوان ..
- اننى لا أحبها ..
- الرحمة أولى بمن لا تحب .
- المسألة أنك سعيدة أما أنا فرجل تعيس ..
- فقبضت على يده بشدة وتوسلت قائلة :
- لا تفكر فى الطلاق ، حتى لو رأيت أن تتزوج
- من أخرى ..
- ما معنى أن يجيء بامرأة أخرى بلا حب ؟
- عين امرأة سعيدة ، والسعداء لا يرون
- الحقيقة .
- انها تبعثر الثروة والعمر يمضى .. قال لها :
- انك تنفقين بلا حساب .
- الحمد لله .
- ولكنه مالى أيضا !
- حد علمى أنه مال الله سبحانه وتعالى .
- فتساءل ضاحكا :
- ألم تسمعى عن أبناء يقتلون أمهاتهم ؟
- فأجابته ضاحكة أيضا :
- ولكنى أعلم أنك تحبنى ، وأنتك ستملا قبرى
- بدموعك فيسبح فوقها جثمانى ..

★ ★ ★

- وانتهزت سيدة فرصة هدوء يمر بلا نقار
- فقالته له :
- ان ما ينقصك حقا هو العمل ..

فتساءل بسخرية :
- أعمل خاطبة ؟
فتجاهلت غمزته وقالت :
- أنشئ عملا مناسبا ، لن تضن عليك والدتك
برأس المال .
غزته الفكرة ، كره أن تجيئه من سيدة ولكنها
غزته . تتم بسخرية :
- عجيب أن تخرج منك فكرة طيبة ..
قالت وهي تتنهد :
- جرب وربنا معك .
انه في حاجة الى العمل والاستقلال ، ولكن من
أين يجيء بالخبرة ؟ . أين اللعين حمدون ؟ . لم
يحسن في حياته سوى قراءة قصص الجريمة
وتدخين الكيف في الغرزة . ها هو حلم جديد
يبرز في حياته القاحلة ..

١٠

لم يعقب اقتراح سيدة فعل . حلم بالمشروع
وبرم أكثر بالحياة . لم يجد في الحياة جديدا
سوى أنه اعتاد عادة جديدة هي الاكثار من
الطعام بتأثير من الكيف ومعالجة للضجر .
ولأول مرة يفقد رشاقتة ويميل قليلا الى البدانة .

في ذلك الوقت نسى حبه القديم أو كاد ، وانطبع
بطابع بلادة غاشية ، حتى العبادات مارسها بلا
شعور وبلا حماس : ولم يجد أمامه الا سيدة
فحملها مسئولية تدهوره . وتمردت الفتاة فجأة
على وضعها فهرعت الى عين وهي متدثرة بعباءة
وراء النافذة تشاهد من وراء الزجاج مطرا
ينهل فوق الحديقة فيغسل الأوراق ويملا
القنوات ، بثتها شكاتها وقالت وهي تجهش في
البكاء :

- يجب أن أرجع الى أمي ..

فلم تسترد عينيها من الماء والشجر معتصة
ثورتها بهدوء شامل ، ثم تساءلت :
- ألك أم غيرى ؟

فهمست بأسى :

- أنت أم الجميع ولكننى معذبة ..

وتساءلت عين وهي تلتفت نحوها بحنان :
- أما زلت على جهلك بالرجال ؟

ثم وهي تقرصها بعطف في خدها :

- أنهم يحتاجون الى تربية متواصلة تمتد من
المهد الى اللحد ، وهذه هى مهمتنا ..

وهمت الأخرى بالكلام فأسكتتها بإشارة
وواصلت :

- المرأة التى تهجر بيتها جاهلة لا تستحق

نعمة الأمومة ، ماذا غيرك بعد أن آمنت بأنك
أعقل الستات طرا ؟

— حتى متى أتحمل الالهانة !؟

— انه يهيننى بأفعاله أكثر مما يهينك بأقواله
فهل أهجره بدورى ؟

— ولكن ..

فقاطعتها :

— حذار أن تعرضى الأمير الصغير للمتاعب .

★ ★ ★

وكان يسترق النظر الى الفتيات اللاتي حلمن
ذات يوم بالزواج منه . انهن يرحن ويغدين في
الحارة محصنات بالزواج والاستقامة . أى
واحدة منهن تفضل سيدة جمالا . وأى واحدة
كانت خليقة بأن تخلق الحب خلقا اذا لم يتوفر
في البداية . وكان يعاشرهن في الخيال وقد وهنت
روادعه بوهن عباداته . ومن بيتهن « اعتدال »
عرفت بشيء من المرح فتشجع ذات مرة الى توجيه
تحية هامسة اليها ، لكنه قوبل بتجهم خشن .
وكان للخطأ عواقبه ففاجأه الشيخ سلام الدروى
ناظر المدرسة الأولية بالانتقاض عليه في
الغرزة ، وعلى مرأى من الجالسين بصق على
وجهه وهو يصيح به :

— يا نذل .. يا جبان ..

وتفشيت الفضيحة وعرفت تفاصيلها . اعتر

قوم بأنها لم تكن الا تحية بريئة ندت عنه ببراءة
وفي حال من السهو ، واستنكرتها الأغلبية ولكنها
لم تنف عنه حسن النية . وتشابك الشيخ والفتى
حتى خلص الآخرون بينهما . ورجع عزت الى
داره بشقة متورمة .

لأول مرة ينصب لوم على شيء ينتمى الى الست
عين . وتوارت سيدة عن الأعين لتبكي وحدها .
أما عين فوقفت أمام عزت وقفة عسكرية وقالت :
- أصدقني هل عبث بك الشيطان ؟
فقال بحرارة كاذبة :

- كلا . . وأقسم لك على ذلك . .

فكانت وهى تتنهد بارتياح :

- انى أصدقك . . ولكنك أخطأت . .

واستدعت الشيخ الدروى فأكرمته غاية
الاکرام وأكدت له براءة ابنها . واستبقته للغداء
فصالحت بينه وبين عزت ، ولم يسكن خاطرها
حتى اطمأنت الى أن سحابة الكدر قد تلاشت
تماما .

لكنها لم تتلاش من سماء عزت ، هو وحده
يعلم بكذبه ونفاقه وجبنه . ويشعر بأن عباداته
خسرت روحها الصافية فلم يبق منها الا وخز
خفى ينفث الأسى ، وأذعن أكثر لمغريات الطعام

الدسم وراح يحلم بالمشروع المقترح ، ويحلم
أيضا بالهجرة من الحارة التى لم تعد تعد
بخير .

ومنه علمت عين برغبته فى انشاء مشروع
تجارى فرحبت بالفكرة وقالت :
— طالما فكرت فى ذلك ولكنى انتظرت حتى
يجىء التفكير من ناحيتك !

فلم يسر بترحيبها وتوجس خيفة غامضة أما
عين فواصلت تقول :

— لا خبرة لك ولكن لا شىء يدعو لليأس ،
الناس حولنا يعملون فى الخشب والدقيق والبن
والخيش ، دعنى أدخلك شريكا لأحدهم حتى
تعرف سر المهنة ، ولك بعد ذلك أن تستمر معه
أو أن تستقل بعمل مماثل فى مكان آخر . .

وجد نفسه على باب تغيير حاسم سيقلب نظام
حياته رأسا على عقب فأجفل ، هل يتحرر من
النظام الراهن بسهولة ؟ - انه يسهر الليل فى
الغرفة ، وينام حتى الظهيرة ، ويتسلى بقصص
الجريمة ، فهل يتخلى عن ذلك كله دفعة واحدة ؟
قال :

— عظيم . . سيحدث ذلك دون ريب . . ولكن
فلنؤجل تنفيذه الى حين . .

والحت عليه الرغبة فى هجر الحارة ، وجعل
يردد رغبته على مسمع من سيده . وانقبض قلب

الفتاة ، انها تعلم يقينا أن حياتها الزوجية تدين
ببقائها حتى الآن لعين ٠ وأنه لا يتجاوز الحد في
الاساءة اليها حذرا من اغضاب أمه ، ولكن أى
مصير تلقى اذا انفرد بها في مكان بعيد ؟ !

لذلك وشت بأفكاره الى عين ورجتها أن تخفى
وشايتها ٠ وتساءلت عين أسفة :

— أين يجد مثل دارنا ؟ ولكنه كره الحارة !
وفكرت لأول مرة في ادخال تجديدات حديثة
على هندسة دارها العريقة ، وأنفقت بسطاء
لتوصل اليها الماء والمجارى والكهرباء حتى
عجب عزت من قرارها المفاجيء ٠٠ وتساءلت
ضاحكة :

— لم لا ٠٠؟ الدنيا تتغير ، وثمة تجديدات
تنفع ولا تضر ٠٠

ثم سأله بعد حين قليل :

— هل يروك الأثاث الحديث ؟

فتساءل بفتور :

— ما أهمية ذلك ؟

— أنت شاب ، وللشباب ميوله ، ممكن أن

تجىء بقطع حديثة لتحتل مكانها بين الأثاث
القديم ، وممكن أن نجعل التجديد في حجرتك
شاملا ، لم لا ؟ ، ماذا يعجبك ؟ !

فرقع منكبيه ولم ينبس ، ودأخله شك في أن
سيدة وشت به ، وسألها حال انفراده بها :

.. هل أطلعته على رغبتى فى الذهاب ؟
فأنكرت بشدة ولكنه قال بازدرأ :
- نمامة واشية مثل أمك ..
وعلمت عين بالشجار فواجهته بالصراحة
التي تحبها . قالت له :
- لا تعذب أم سمير أكثر من ذلك ، هذه دأرك
وقد جددتها أكراما لك ، اذا كانت لك رغبة فى
حياة مستقلة بعيدا عن حارتك فلن أعترض
رغبتك ، لك الحرية الكاملة فافعل ما تشاء ..
هكذا وجد نفسه مع حريته - مرة أخرى - بلا
عائق . وسرعان ما فترت همته وتحرك تردده .
كالعادة توقف فوق العتبة . ترى من أين
يزحف عليه هذا الشلل ؟! أهى حياته الخاصة
التي تحولت الى بلاد ناعسة ؟ . هل يوجد فى
عين سر خفى ما زال يجهله ؟

١١

وظالعه عين ذات صباح بعينين محمرتين
من أثر البكاء قانزعج جدا . لا يذكر أنه رآها
تبكى من قبل . سألها عما بها بقلب منقبض
يتوقع شرا فهمست بصوت حزين :
- بركة .. تعيش انت !

فما تمالك أن ابتسم وهو يشعر بالنجاة
وتتم :

– القلط تملأ الدار ، البقية في حياتك ٠٠
– لكن بركة هي الأصل ، كان قلبها عامرا
بالحب وحسن الادراك ، ولم يكن ثمة مفر فقد
انتهى الأجل ٠٠

كان قد ألف هذه الدروشة ، وسلم بحقيقة
المنجاة المتبادلة بين أمه والقطط ، وربط بين
ذلك وبين حيويتها التي لم تنقص منها سبعون
عاما شيئا ٠ كذلك ألف معاشرة سيدة الراكدة ،
بل لقد تألم لاجهاضها مرتين بلا سبب ظاهر ،
وقد خفق قلبه عندما قالت له أمه ذات يوم :

– أن لنا أن نرسل سمير الى الشيخ العزيزي!
حقا بلغ سمير السادسة ، وضحت الآن ملامح
عين في وجهه ٠ الزمن يتقدم وقد بلغ هو الخامسة
والعشرين من عمره ، لم يحدث شيء هام في أثناء
ذلك ٠ بل حدث تغير خفى لم يهمس به لأحد ٠

تغير عجب له وانزعج ٠ انه الفتور الذي
يسرى في شعوره الديني ٠ لا علاقة بذلك بأحد
من جلساء الغرزة فهم مؤمنون ٠ ولا شأن
لقصص الجريمة في ذلك ٠ ولا دخل للتفكير في
الموضوع كله فهو لا يفكر ، ما هو الا فتور في
الشعور أخذ الحماس واليقين فتهاوت أركان
المعبد ٠ كف عن الصلاة والصيام ولكنه احتفظ

بسر ذلك لنفسه فلم يفتن اليه أحد • وخوت الدنيا ولم يكن في وسعه أن ينعشها ، دنيا الفراغ والأكاذيب •

ولاحظ رمضان الزينى - عميد الغرزة - كآبته ذات ليلة فقال له :

- وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ••

فابتسم متسائلا فقال الرجل :

- جاء ومال وشباب ، ماذا تريد أكثر من

ذلك ؟ !

صدق الرجل ، حتى لو تهادى اليه ميراثه

فأى شيء يفعل أكثر مما يفعل الآن ؟

★ ★ ★

والغرزة تقع في مكان فريد على الحد الفاصل

بين التاريخ والعصر • في حجرة مراقبة بالحصن

العتيق القائم فوق القبو • في زمن مضى كان

القبو هو الباب الشمالى للقاهرة وكان الحصن

فوقه هو مركز الأمن والدفاع • اليوم الحصن

أثر من الآثار ، والقبو ممر عبور ومنامة

للمتسولين ، ورمضان الزينى هو الذى اختار

حجرة المراقبة مكانا لغيرته • ليست هى

بالواسعة ولا بالضيقة ، وتتوفر لها التهوية من

نافذة كان يطلق منها الرماة نبالهم • وجعل من

خفير الآثار خادما للجلاسة ، يهيبء الجوزة

ويدور بها ، ويشارك فى التدخين والعشاء •

واحتفل عزت بدخول سسمير الكتاب فأهدى
الجلسة خروفا مشويا وصينية بسبوسة . وكانت
ليلة لا تنسى ، لا للمناسبة السعيدة وحدها ،
ولكن لخبر جديد جاء به رمضان الزينى . قال :
- رأيت أمس ما لا عين رأت . .

فتطلعت اليه الأعين الناعسة فقال :
- مر بالدرب الأحمر سيرك اللاوندى فذهبت
اليه ، بدأ العرض بالتمثيل ، رأيت المثلة
والممثل . من هما فيما تظنان ؟
قال له صوت مازحا :

- أمك وأبوك . .
ولكنه استمر دون مبالاة :
- بدرية المناويشى وحمدون عجرمة !
وتصايح القوم :
- غير معقول . .

أما عزت فقد اندلق فوق رأسه جردل ماء
مثلج . فتح عينيه نصف المغضتين فرأى الماضى
متجسدا متسرבלا بالانفعالات العنيفة .
وقال رمضان مسرورا بما أثار من اهتمام :
- بلحمها ودمهما .
- يا للفضيحة ! . .
وقال رمضان :

- ما يبدأ بالهرب ينتهى فى السيرك . .
وتعاقبت التعليقات كالسموم ، ورجع الماضى

الى عزت ككأنما لم يغادره دقيقة واحدة لا سبع
سنوات كاملة أو تزيد ، ورغما عنه تمتم :
- يا لها من نهاية !

قال رمضان :

- صممت على احراجہ فقابلته ..

- لا شك أنه أنزوى ؟

- أبدا .. ضحك .. رجب بى . انه الاستهتار
نفسه ..

وسأله عزت :

- ألا زال السيرك يعمل بالدرب الأحمر ؟

- كلا .. ولكن حمدون وعد بزيارتنا هنا ..

- مستحيل ..

- سترون بأنفسكم بعد قليل ..

- حقيقة انه لقارح ..

واضطرب عزت ، أيرى حقا حمدون بعد
قليل ؟ ماذا يهم ؟ لقد اندثر الماضى ومات
الحب كما ماتت الصداقة ، ولكن وثوب الماضى
على الحاضر فجأة لا يمر دون قلقلة . وتخيل
للقاء صورا عديدة ولكن ما حدث فعلا كان
مختلفا عما تخيل ، فما أن رآه ينظر اليه من تحت
حاجبيه البارزين بابتسامة مشرقة فاتحا ذراعيه
حتى لبقى دعوته فتعانقا بحرارة ، وهمس حمدون
فى أذنه :

— ما جئت الا من أجلك عندما عرفت أنك من
أركان الجلسة ٠٠

وسرعان ما شارك في التدخين بتلقائية وبلا
حرج ٠ لم يجد أحد الشجاعة للحملة عليه غير
أن رمضان قال :

— ما تصورت أن أجدك في سيرك ٠٠
فقال ضاحكا :

— عملنا مقصور على المسرحية وهى من
تأليفى ٠٠

— ولكنك كنت موظفا ٠٠
— وما زلت ، المسرح هواية ليس الا ٠٠
— ولكن ٠٠

ولم يكمل رمضان فضحك حمدون وقال :
— ولكن زوجتى ، اليس كذلك ؟ ٠٠ انها فنانة
مثلى ، لا جدوى من محاولة اقناع حارتنا بذلك ٠
ولكننا أسرة شريفة كسائر الأسر الشريفة !
لم نتكلم ال قرقرة .الجوزة ٠٠ ثم التفت نحو
عزت وقال :

— يسعدنى أن أشارك في الاحتفال بدخول
ابنك الكتاب ٠

— وأنت كم ولدا لك ؟
— أنجبت واحدا لم يعمر أكثر من عام ولا شيء
بعد ذلك والحمد لله ٠٠
فسأله رمضان :

— ألا تود أن تعقب ذرية ؟
— انها معطلة لنشاطنا الفنى !
وقرقرت الجوزة وحدها مرة أخرى .

★ ★ ★

غادرا الغرزة معا . دعاه الى داره وهى تغط
في النوم . جلسا في الحديقة رغم ميل الخريف الى
البرودة في وقت الفجر . تبادلوا عواطف صادقة
دون أن يشير أحدهما الى الماضى بكلمة . شعر
عزت بانتعاش روحى جديد . قبض على الصداقة
صافية بعد أن تلاشت الذكريات الأليمة ، عادا
كما كانا بلا حب خائب يفرق بينهما . انها لمعجزة
تروى . وراح حمدون يحدثه عن تجربته :

— ما زلت موظفا ولكن كفاحى في سبيل الفن
لم يضعف لحظة ، واكتشفت أيضا موهبة بدرية ،
ولكن كيف نشق طريقنا في الصخر ؟ ، لقد
رفضتني المسارح كمؤلف كما رفضت زوجتى
كممثلة ، لم أياس ، عرفت صاحب سيرك
اللاوندى ، اقترحت عليه أن نعرض مسرحية من
فصل واحد بدلا من التهريج الممجوج ، لم نطالب
بأجر فقبل التجربة ، وقد نجحنا وانبسط الجمهور
أضعافا مضاعفة .

فقال عزت :
— ولكنه سيرك !

– أجل ، خير من لا شيء حتى تلين ارادة
المستقبل ..

وبدافع من الكبرياء أخبره عن مشروعه
التجارى الذى يفكر فيه فقال حمدون :

– لا مفر من ذلك والا فما معنى الحياة ؟!

– اذن فحياتك الآن لها معنى ؟

– انها مفعمة بالنشاط .. ومن يدري فقد

أكون فرقة ذات يوم ..

– وهل تستطيع أن تصمد أمام المسارح

الكبيرة ؟

– أعنى فرقة صغيرة تعمل فى روض الفرج

صيفا ، وان وجدنا تشجيعا عملنا فى الكلوب

المصرى شتاء ، هذا ما أطمح اليه ..

دار رأس عزت ، دهمته خواطر غريبة

مباغته • غزاه الهام بعث النشاط فى قلبه

وارادته • لم يشعر من قبل بمثل ما شعر به

وقتذاك من قدرة على الخلق والعمل والاقتحام •

ولكى يثبت لنفسه أنه موجود لا حالم قال :

– حدثنى يا حمدون عن التكاليف المطلوبة •

فقال الشاب باهتمام :

– أجرة المسرح والممثلين والملابس

والديكورات • ليس بالمبلغ الخيالى ولكن يحسن

ألا يقل عن خمسمائة جنيه ؟

فتفكر عزت قليلا ثم تساءل :

— هل يضمن النجاح ؟
 — أعتقد ذلك خاصة اذا أدركنا البوفيه
 لحسابنا .
 وساء صمت مليء بالانفعالات والأمل والدوافع
 العميقة . أخيرا تتم عزت :
 — دعنى أفكر يا حمدون قليلا . .

١٢

لم يكن فى حاجة حقا للتفكير (كما يقول
 الراوى) اذ اجتاحتها دفعة حيوية شديدة الانطلاق
 والقوة خلقت منه انسانا جديدا مجنوننا
 بالحركة ، دعاه داع عميق للنشاط والثورة على
 البلادة حتى أنكر نفسه ، واعتبر الأمر لهوا
 مقدسا ولعبا سارا تتحقق به الذات على نحو
 بهيج . ولم يغب عن تقديره أن المشروع الجديد
 يجب أن يطوى فى طى الكتمان . فلا هو مما يمكن
 التفاهم عليه صراحة مع عين ، ولا هو من
 الأعمال التى تعترف بها حارته أو تحترمها ،
 وسوف تلوكه الألسنة اذا انكشف السر وتعود
 عليه بأشنع الصفات . ولم يثبط ذلك من همته ،
 بل لعله ضاعف من حماسه وتمرده . صاحب
 مسرح ومديره ترى ما معنى ذلك ؟ أعجب من

ذلك أنه لم يكتشف في نفسه اهتماما حقيقيا
بالمسرح ولكنه يجرى وراء المجهول وتحدياته
الغامضة ، وينجذب الى فترة ماضية عامرة
بالثراء . ولا مرأى في أن الادارة تناسبه ، وصحبة
حمدون تعابشه ، وتغيير الجو من النقيض الى
النقيض يسحره ، وحسن أن يخوض التجربة
متحررا من ضعف الحب وآلام الوهم وبقلب
متوفز جسور .

ولكن هل تصادفه عقبة غير متوقعة عند أمه ؟
لقد قالت له :

- انه مبلغ لا يستهان به ولكنه لك حبا
وكرامة . أريد فقط أن أعرف مشروعك .
- شركة مقاولات .
- دعنى أجلس ساعة مع شركائك .
- فانتفض غاضبا وهتف :
- لست قاصرا ، وهذه أعمال رجال !
- فضحكت قائلة :
- ليكن التوفيق حليفك .

★ ★ ★

اصطحبه حمدون الى شقته القديمة بشارع
محمد على لتناول الغداء . عندما لاح له المسكن
يشعر برغبة جازمة في الهرب ، غير أن الرغبة
اندفعت في اتجاه ومضى هو يتأبط ذراع حمدون
في الاتجاه المضاد ، بعد دقيقة أو نحوها سيرى

بدرية المناويشى ، ممثلة سيرك اللاوتدى. ،
ويلمس راحة يدها لأول مرة فى حياته ، لو حدث
ذلك قبل سبعة أعوام لتكهرب أو اشتعل ولكنه
يمضى اليوم متحررا وقد ذاب العاشق القديم فى
تيار الزمن وحل محله آخر يحلم بالادارة
والسيادة واللهو البرىء .

فتح الباب عن محياها الثرى وابتسامتها
العذبة وهى مرتدية فستانا منقطا بالبياض ،
ورجع الصوت القديم وهو يقول بمرح وترحيب :
- أهلا .. أهلا ..

دخل عالما جديدا لا رجعة منه ، كان عليه أن
ينقب عنه بين الأطلال ، وما هو يغزوه متمتعا
بالصحة والصدقة . وتذكر آلام الحب فتعجب .
وجلس فى حجرة استقبال متواضعة وغرقوا فى
المجاملات والذكريات الحايذة ثم دعى الى
المائدة ، أثاث البيت ينطق بالتقشف . صديقه
يعانى وما هو يجيئه فى الوقت المناسب ، وراح
يتناول طعامه بحماس قائلا :

- تعلمت أن أكل كما ينبغى .

فقالت بدرية :

- ازداد وزنك ، ربما أكثر مما يلزم .

فقال حمدون معترضا :

- انه مناسب جدا لصاحب مسرح ومديره .

فقالت بدرية :

– اليك المسقعة وورق العنب اللذين تحبهما
كما أخبرنى حمدون ..

★ ★ ★

وقى حجرة الاستقبال مرة أخرى قال عزت
لحمدون :

– أرجو أن تكون أحسنت التصرف مع
الوقت ..

فقال حمدون بثقة :

– سنبدأ مع أول يوم من الموسم الصيفى ،
اخترت الممثلين والممثلات وسائر العاملين ،
وعند العصر سيحضر الأستاذ يوسف راضى
المحامى .. كل شيء جاهز ..

وتذكر وفاة أبيها منذ سنوات فقدم لها العزاء
وسألها :

– هل ترين والدتك ؟

فقالت باقتضاب :

– تزوجت من زمان وانتقلت بصفة نهائية الى

البلينا ..

فقال حمدون ضاحكا :

– حسن أن يعيش الرجل بلا حمة ..

فقالت له بدرية :

– أنت مؤلف ووعد ..

– المهم أن أنجح كمؤلف .. أتود أن ترى

مكتبتى ؟

فأجاب عزت بفتور :
- طبعاً ولكن فيما بعد !
وسألته بدرية :
- كيف حال الست عين ؟ أما زالت تغدق
الرحمة على أهل حارتنا ؟
فقال ببرود :
- في غاية من النشاط والحركة .
- أظن أنه أن لها أن تستريح .
- ما زالت شابة !
فقال حمدون يا خلاص :
- أنها تستحق الأجلال على مدى الدهر .
فقال عزت ضاحكا :
- يخيّل إلى أحياناً أننا أسرة من المجانين !
- إذن فالجنون خير ما يوصف للعالم
لانتقاده .
- أما زالت تعتقد أن العالم في حاجة إلى انتقاد ؟
فرفع حمدون يديه إلى السماء وهتف :
- اللهم فاشهد !
لاحظ عزت أن بشاشة بدرية تلاشت فجأة
وأنها غيرت مجرى الحديث قائلة :
- لولا ثقتي في أن مالك لن يتبدد ما رضيت أن
نجرّك إلى مشروعنا .
- شيء مذهش حقاً أن تنجحى كمثلة .
فأشارت نحو حمدون وقالت :

— انه صاحب الفضل ، هو المكتشف وهو المعلم ، يحفظنى دورى ، وأصر على تقويتى فى القراءة لأحفظ بنفسى .

فقال حمدون :

— لا أهمية لذلك طالما نقدم فصولا فكاھية ، ولكنى أحلم بتقديم مسرحيات شكسبير المترجمة فعليك أن تحسبى النطق بالفصحى . .

— الضحك مضمون النجاح ، وسوف يؤيد

المدير رأىى . .

فابتسم عزت وامتنع عن الاشتراك فى الحديث ،

فقال حمدون :

— الدموع تنجح كالضحك ، وقد قرأت

حضرتها مناظر من يوليوس قيصر فأبدعت .

نسى الحارة تماما بادیء الأمر ، كأنها ذكرى

أسطورية ، ثم جاءت سيدة لتجلس لصق بدرية

ولتدعو الى مقارنة قاسية . نشأة واحدة فى

الحارة والكتاب . هذه تتألق بالذكاء والجمال

والاقتحام والأخرى تتوارى وراء مسكنة ماكرة

ببشرتها الداكنة وأنفها المتكور واستسلامها

المنيع ، لكن ماذا صنع حمدون من بدرية وماذا

صنع هو من سيدة ؟ وقال أيضا أن سيدة أنجبت

سميرا أما هذه الحسناء فلم تنجب شيئا ، ولو قدر

لها أن تتزوج منه لتغيرت المصائر الى أفضل

أو أسوأ .

خير ما يفعله ألا يفكر الا في مركزه الجديد
كمدير على هذين النجمين ، وهو به سعيد جداً ،
وفي غمرة حماس تتزايد قال :
- لعلنا نستطيع أن نستأجر مسرحاً كبيراً
في المستقبل ..

ففرج حمدون بين ساقيه واضطجع الى مسند
الكنبة ليطلق لأحلامه العنان ، أما بدرية فقالت :
- المهم أن ننجح أولاً ..
فتمتم عزت :

- لو أنها تهبنى ما تبعثره على الناس ، لو أننى
أبيع عمارة واحدة !
فاستوى حمدون في جلسته وقال محتجاً :
- انى أعترض على الأحلام غير البريئة !
فقال عزت دون مناسبة ظاهرة :
- أود أن يكون لى مسكن خاص بعيداً عن
الحارة ..

★ ★ ★

قبيل العصر بقليل دق جرس الشقة فقام
حمدون وهو يقول :
- جاء الأستاذ يوسف راضى وبدأ العمل .

تمخض الشتاء وأوائل الربيع عن اعداد
واستعداد وانفاق مال ، كما تمخض عن صداقة
حميمة بين عزت وحمدون وجدرية ٠٠ ويعد
الراوى تلك الفترة من أسعد الفترات في حياة
عزت عبد الباقي ، وكان يمضى شطرا كبيرا منها
في شقة حمدون وهناك تحررت العقود مع مالك
المسرح والممثلين والممثلات والفنيين والعمال ،
وقد جدد أجزاء من مبنى المسرح وزوده بكراسي
جديدة ، وركب له مدخلا جديدا ، فصار تحفة
روض الفرج كما قال عم فرج يا مسهل عامل
النظافة والمنادى الذى يرجع أصله الى الحارة ،
وفي ابريل نقلوا مكان العمل الى المسرح نفسه ،
وقد أعجبه حجرة المدير بمكتبها الكبير والخزانة
والمقاعد الجلدية الوثيرة ، ومارس عزت عمله
كمدير وصاحب للمسرح ، لم تكن السيادة بالحال
الغريبة عنه ولكنها لم تمتد من قبل الى آخرين
بهذه النوعية ، وتبدت الممثلات لعينيه في صورة
مبتذلة جدا أقرب الى دنيا الدعارة منها الى دنيا
الفن ، وخيل اليه أنهن يتسابقن في عرض أنفسهن
عليه فمضى في اعداد شقة خاصة في بيت متوسط

الحجم بحدائق شبرا ، نوى أن يدعو اليه أسرته الخاصة بعد أن يستغله لنفسه قبل ذلك . ولاحظ حمدون تطلعاته الجنسية فقال له :

– استمع الى الصديق ، جميعهن رخيصات كما ترى ، الممثلات الحقيقيات لا يفرطن في مسارحهن من أجل مسرح كمسرحنا ، وأى علاقة مع امرأة من هؤلاء ستضع من مكانتك كمدير ، افعل ما تشاء بعيدا عن هنا . .

فامتثل للنصيحة ، لم يلق صعوبة تذكر ولم تكن به رغبة حقيقية . توفر لعمله بحماس وأشواق ، أو توفر له الرجل الجديد الذى خلق ليلة الاحتفال بدخول سمير الكتاب . وكان يلحق عند منتصف الليل بغرزة رمضان الزينى فى حجرة المراقبة بالحصن الأثرى العتيق ثم يمضى الى دار عين عند مطلع الفجر .

وكمدير قرأ النص ، مسرحية نديم السلطان المقتبسة من ألف ليلة وليلة ، وهى التى قدمها حمدون من خزانة مؤلفاته المتراكمة . شهد أيضا البروفات ، وراقب حمدون وهو يقوم بواجباته المتعددة من الاخراج والتمثيل ، ورنا بدهشة الى بدرية وهى ترقل فى طيلسان الجارية الرومية . من المؤسف أنه لا دور له فى هذا العمل المعقد السحرى الفائن ، وقال له حمدون .

- ستكون المنافسة شديدة ، توجد ثلاثة مسارح غير مسرحنا .
فقال بدرية :
- ميزتنا أن روايتنا جديدة ، جميع رواياتهم معادة من التراث الهزلى ..
فقال الأستاذ يوسف راضى :
- لا تنسى أنهم يغيرون العرض كل أسبوع ، والمكان لا يحتمل عرض رواية واحدة أكثر من أسبوعين أو ثلاثة ولو كانت جديدة !
فقال حمدون :
- عندى مخزون غزير ، وعندنا التراث أيضا .
فقال الحامى :
- أنا عندى أيضا رواية جديدة !
فسأله بدرية :
- فكاهية ؟
- دراما جادة تعالج مشكلة تعدد الزوجات .
فقال حمدون :
- موضوع صالح أيضا للمعالجة الفكاهية .
- لكنى تناولته من نواحيه المأساوية ..
فقال بدرية :
- لا يصلح لروض الفرج على أى حال ..
فرمق يوسف راضى عزت برجاء فقال هذا بثقة جديدة :

— دعنى أقرأها أولا ٠٠
وارتاح للقرار واعتبره من صميم عمله ٠

★ ★ ★

وكانت ليلة الافتتاح فى أول مايو ، وقف عم
فرج يا مسهل أمام المدخل يصيح بصوت مجلجل :
— هنا ٠٠ ست بدرية الفنانة ٠٠ مسرحية
جديدة لم تمثل من قبل ٠٠ نديم السلطان ٠٠
ضحك حتى منتصف الليل ٠٠ أغانى ورقص ٠٠
مشروبات من جميع الأنواع ٠٠
كان عزت متوتر الأعصاب ، لم يعرف هذه
الحال من قبل الا فى محنة الحب ، وعند استهتاره
بالعبادات لأول مرة ٠ وقد شهد فى فترة الاستعداد
نجوم الفرق المناقسة فاطمان الى تفوق بدرية
ولكنه لم يضحك — كما توقع — وهو يتابع بروفات
نديم السلطان ٠ ومال نحو الأستاذ يوسف
راضى ٠٠ كانا الوحيدين فوق مقاعد المشاهدين
— وتساءل هامسا :

— لا شىء يدعو للضحك !

فقال المحامى منتهزا الفرصة :

— نحن فى زمن الدراما والدموع !

انقبض عند ذاك صدره وتساءل هل يرجع
الى أمه مفلسا ؟! لذلك توترت أعصابه مع مشرق
يوم الافتتاح ٠٠ غير أن الجمهور كان أكبر من
المسارح جميعا ، غصت المسارح بالرواد ، وعمل

البوفيه بنشاط فاق طاقته فاستهلكت بالعشرات
قوارير الغازورة والجنجرايل وسندوييتشات
القول والطعمية والبسطرمة . أكثر من هذا
ضح الجمهور بالضحك ، واستيق الى ابداء
الاعجاب ببدرية بألفاظ خرقت الاحتشام في كثير
من الأحيان . وضع له نجاح العرض فاسترد
الثقة والكبرياء وتضاعف تقديره لحمدون ،
وشارك الجمهور في سروره بالرغم من أنه كان
يرى المسرحية للمرة العاشرة .

١٤

عقب الانتهاء عند منتصف الليل جاءت بدرية
وحمدون الى حجرته بوجهين سعيدين فهنأهما
بالنجاح فقال حمدون بحماس :
- نجاح فاق كل تصور .
وتمتت بدرية :
- وبعد أن تاب الله علينا من السيرك . .
وقام عزت وهو يقول :
- سنحتفل بالنجاح في حدائق شبرا ا
اجتمع في الشقة الجديدة بدرية وحمدون
ويوسف راضى ، كذلك فرج يا مسهل للخدمة .
وجيء بالكباب والفسق والويسكى على هين

عكف فرج يا مسهل على تجهيز الجوزة • وذاق عزت الويسكى لأول مرة في حياته فغزاه انفعال جديد بالطرب فلم يعد يبالي بوضعه الغريب ولا بتدهور قيمه • ورأى الكأس بيد بدرية فملكه شعور بأنهم - جميعا - أجنب ، وأن الحارة القديمة كانت حلما ليس الا • ولما أخذت النشوة بحمدون قال بنبرة خطابية :

- عرفت عزت في كتاب الشيخ العزيزي فخلقت فوق الحصيرة صداقة أبدية ولكنى لم أعرف الا الساعة أنه قدر علينا مصير واحد • • فقال عزت :

- لكل انسان أسرة حقيقية خلق لها • وباهتدائه اليها يبدأ حياته الأصيلة • • فهتفت بدرية :

- كان علينا أن نضل طويلا قبل أن نهتدى الى أنفسنا !

وانغمس عزت في الهام عجيب فتح قلبه لاشراق باهر • وأحب بقوة خيالية كل شيء • غير أنه كان أيسر عليه أن ينفصل عن قلبه أو كبده من أن ينفصل عن حمدون وبدرية أو المسرح الذى هيا لهم الالتحام الأبدى • وقال ان بالدنيا كنوزا من الأفراح لا تخطر على بال • ولكن على من يروم السعادة أن يكون حاسما مع المعوقات المتلفة بظلمة الأركان العتيقة • وقال :

- أرغب في الغناء لولا قبح صوتي !
فقال حمدون ضاحكا :
- لنترك هذه المسألة لضميرك .
وقالت بدرية مشيرة الى حمدون :
- كثيرا ما كان يصحو من نومه فيقول :
« حلمت بعزت ! »
فسأله عزت :
- بم كنت تحلم ؟
- آه .. ما أسرع أن تنسى الأحلام
فقالت بدرية :
- لكني ما زلت أنكر حلمي رواه لي ، رأى
أنكما ترقصان معا في قارب ..
- ترى ما تفسيره ؟
- انه لا يهتم بذلك ..
فقال فرج يا مسهل :
- لقد تحقق في مسرحنا « الفردوس » فهو
قارب على شاطئ النيل ..
وسرعان ما رحبوا بالتفسير غير أن عزت
تساءل في نفسه ترى ماذا كنت أحلم في ذلك
الزمن ؟ !

★ ★ ★

في طريقه الى الحارة امتعض كثيرا فلعن
الحركة القسرية التي تختم بها الدائرة . حتى
الفرزة آوى أصحابها الى مضاجعهم . وهو

يخوض الظلمة ارتطم به معتوه معروف يطيب له
 الهيمان في الظلمة ، وقع رأسه عليه وهو يتمتم
 بكلمات ممطوطة لا معنى لها فسال لعابه على
 خد عزت وعنقه • تقزز الفتى ودفعه بقوة
 فارتمى على ظهره عاويا • وجاءت نحنحة الخفير
 من بعيد محدرة متسائلة فبلغ به القهر منتهاه •
 وانطلق منه قرار متكامل الأبعاد غير مسبوق
 بتدبير • كما ينقض قاطع طريق متربص • أن
 يرجع الى الأبد : أن يقفز من شرفة الحصن
 العتيق ليقتنص حظا جديدا •
 دار على عقبيه ومضى مترنحا ثملا بفرحة
 طاغية •

★ ★ ★

يقول الراوى :

انه عند عصر اليوم التالى جاء رسول الى دار
 عين حاملا وثيقة طلاق عزت من سيدة • أجهشت
 سيدة بالبكاء وراحت تجمع ثيابها في غمرة
 انفعالها • أسندت عين رأسها الى ظهر الديوان
 المحلى بالحكم والأمثال وأغمضت عينيها •
 وجعلت تهمس :

— ما أصدقك يا قلبى ••

ولما فتحت عينيها رأت سيدة تنتهى من جمع
 ملابسها ، وسمير يتابعها بوجوم •
 صاحت عين :

- ما هذا ؟ !
واعتمدت في جلستها وقالت بلهجة أمرة :
— أرجعى ملابسك الى مكانها ..
فقالت سيدة بصوت ممزق :
— كيف أبقي معه تحت سقف واحد ؟
فقالت عين بأسى :
— لن يرجع الينا مرة أخرى ..
وقامت تتمشى في الحجرة ثم تمتمت :
— لن أدهش اذا تحول السقف الى سحاب
وانهل منه المطر ..
تمتت سيدة :
— أذهب الى أمى ..
فقالت بضيق :
— قلت لك ان أمك هي أنا ، هذا بيتك ، هذا
ابنك سمير ، امكثى بسلام حتى يرزقك الله بخير
منه ..
وأرجعت الملابس بيديها وهى تواصل :
— حدثنى قلبى بأن أحداثا ستقع ، السحب
لا تتجمع لغير ما هدف ..
وأخذت سمير من يده الى الديوان وقالت
مغيرة لهجتها :
— الشيخ العزيزى يثنى عليك طيب الثناء .
اجتهد وعز قلوبنا الجريحة ..
همس الولد بقلق :

— بابا ٠٠

— لقد باعنا بالتراب ، هذا هو أبوك !

وتساءلت في تأثر :

— لم لا يكون الجزاء من جنس العمل ؟ !

وتنهدت ثم قالت مخاطبة المجهول :

— لقد رببته على خير ما أستطيع ، وباركته

بالهدى والحب ، ماذا به ؟ كان دائما وكأنه يتوشب

للسفر ، الى أين ؟ ، لماذا تخاصم الهواء ؟ ، لماذا

تتحدى راحة البال ؟ ، لماذا تبحث عن المتاعب ؟

★ ★ ★

واصلت الحياة سيرها الوئيد في الدار

والحارة ٠ مكثت سيدة بالدار في حياة جديدة

خالية من الصراعات ٠ استأنفت عين جولاتها

الجليلة بالحب والرحمة مبدية تماسكا وصبرا

جليلا حيال المكدرات ٠ وسعدت باجتهاد سمير

وتقدمه ٠ وانتشرت أنباء عزت في الحارة ٠٠

الطلاق والهجر — قلعن الرجال والنساء الولد

المارق ٠

١٥

الموسم يمضى فى نجاح • عرضت فرقة
«الفردوس» أربع مسرحيات من تأليف حمدون •
ومنذ أواخر أغسطس بدأ نشاط جديد لاعداد
مسرح الكلوب المصرى للموسم الشتوى • عزت
يتمرس بعمل المدير ، يحن لرؤية سمير ، ولكنه
لا يفكر قط فى زيارة الحارة • ودارت مناقشة
حول الموسم الجديد فى مكتب عزت فقال حمدون
عجربة :

— انى أحذرك من مسرحية يوسف راضى ••
فقال عزت :

— سأجد وسيلة لإقناعه ••
عند ذاك تساءلت بدرية :

— هل نعرض رواياتنا الهزلية فى الكلوب
المصرى ؟

فقال حمدون :

— انها ليست هزلية بالمعنى المتعارف عليه ،
فمن خلال الهزل أقول أشياء لها قيمتها ••
فقال عزت :

— عظيم ، ولكنك حدثتني مرارا عن خطة
أخرى ••

— اذا كان لا بد من الجد فعندنا مسرحيات
شيكسبير المترجمة ..

تحرك رأس بدرية في رشاقة وقالت بعذوبة :

— انى أحب يوليوس قيصر !

رأى عزت حركة الرأس وسمع الصوت
فحدث شيء • ذهل عن بقية الحديث • ودعاه
وذهب وهو لا يدري • تتمم وحده :
— رباه .. انى أحبها !

انها ملء القلب والنفس ، والحياة • هل بعث
الحب القديم في هذه اللحظة ؟ • أو أنه لم يذهب
قط ؟ • أكان يلعبه طيلة الوقت ؟ انه لشيء
رائع مخيف • يقتحم الحياة ليشحن المستقبل
بشئى الاحتمالات • وعلى أى حال يعصف
بالسلام الى الأبد • تراجعت مشكلة يوسف
راضى الى الورا • أجل لقد توثقت علاقته به ،
هو صاحب الفضل في تعريفه بأكثر من امرأة من
صديقاته • أشعل في شقته ليالى حمراء ، لكنه لم
يهنأ بها كما تخيل • بدا له الحب التجارى مقززا
للاغاية • وشيء خفى في طبيعته ينجص عليه صفوه
ويملؤه بالقلق والنفور • شيء خفى مغوم بالنكد ،
حتى قبل أن يكتشف حبه • أو قبل أن يعترف به ،
نفسه تتضح له بقوة كما تتضح الأسماك تحت
سطح الماء الشفاف • من يدري ، لعله لم يغامر
باقتحام الحياة الجديدة ، ولم يهجر عين وسمير

وسيدة والحارة ، الا من أجلها ، من أجل بدرية
وسعيًا وراء ندائها المجهول • انه الآن أسير
تماما ، حياته محاصرة بأعداء مجهولين • متى
يحدث الانفجار ؟ • ولكن مهلا • يجب أن تعالج
الأمور بأسلوب آخر • ليبق الحب سرا دفينًا
تحت الصداقة والعمل • فلتستمر الحياة في
عذوبة ولتستكن عذاباتها الخفية • وعائده
المتناقض القديم الذي عاناه في رحاب أمه • يحب
بدرية ويحنق عليها • يحب حمدون ويمقتة •
يحظى بالنجاح ويقع في قبضة القلق الحديدية •
وعليه الى ذلك كله أن يتعامل معها — بدرية —
ببراءة وتلقائية • لكنه لا يطمئن الى ثقته بنفسه ،
ويتعرض لهبوب رياح المخاوف • وهى — وهذا
يقين — تحب زوجها لحد العبادة • وهى فيما بدا
مطبوعة على الوفاء والاستقامة • ومواقفها من
جمهور المعجبين مضرب المثل • ما أغبى حارته
في اتهامها لها ولزوجها • الأغبياء يتهمونه
بالاتجار في عرض زوجته • ليته كان من هؤلاء
الصنف من الناس • انن لاتخذت الحياة مجرى
فريدا في انسجامها وسعادتها • وأشد ما يثيره
ساعة الأرق أحيانا في أواخر الليل • يستيقظ
فيسبح في عالم أثري ويجيش صدره بأعمق
عواطف الشجن والأسى • ما أفضع ساعات
الأرق • وسحب الذكريات تهطل حورا بראה

تنداح في دموع ودماء وظلام وأنين • عند ذاك
يرجع الى البدائية الأولى المجللة بالبراءة
والوحشية والألغاز • وجعل يختلس من الرقباء
ساعة تحت ستار الظلام فيقف في ركن ليشاهد
دورها فوق المسرح في مناجاة وابتهاال ، ويتساءل
في دعر ترى عن أى مصير سيسفر هذا الجنون ؟

★ ★ ★

يقول الراوى :

انه قبيل انتهاء الموسم بأيام قلائل اندفعت
الأحداث في مجرى جديد غير متوقع ، أخل
بتوازنها وأسرع بايقاعها ، فانطلقت مثل قذيفة •
كان عزت في حجرة الإدارة عندما جاءت بديرية
وحدها قبل رفع الستارة بساعة أو نحوها •
ورغم أنها تبدت قلقة مشتتة البال الا أن قلبه
خفق بابتهاج عميق اذ كانت أول مرة يخلو اليها
مذ عمل في رحابها • جلست وهي تقول بنبرة
المعتذرة :

— انى مضطرة الى اشراكك في همومى
الشخصية ••

تضاعف ابتهاجه للثقة الموهوبة من أحب
الناس وقال :

— همومك هى همومى أيضا •

قربت رأسها من المكتب حتى مست خصلات
شعرها الأسود حافة الغطاء البللورى وهمست :

— هناك شيء واجد يجمع بيننا في هذه الهموم .
تمتم وهو يبذل طاقة كبيرة للسيطرة على
انفعالاته :

— انى مصغ اليك بكل جوارحي . .
— هذا الشيء هو حبنا لحمدون !
تراجع حتى ارتطم مؤخر رأسه بجدار الحقيقة
الباردة وقال :
— طبعاً . .

— تحدث أشياء غريبة في بيتنا من شأنها أن
تهدد حياتنا وعملنا ومستقبلنا . .
— ترى ما هى هذه الأشياء الغريبة ؟
— هل سمعت عن « أبناء الغد » ؟
— أجل .

— بعضهم يتسللون الى شقتى من تحت
البواكى كل ليلة .
— كيف ؟

— عقب عودتنا من المسرح والشرطة نائمة أو
هكذا يتوهمون !
— لا أكاد أفهم شيئاً .

— انهم متمردون على كل شيء ، ومطاردون .
— ومتهمون باغتيالات معروفة !
— هذه هى المسألة :

— أتعنين أن حمدون . . ؟
ولاذ بالصمت فقالت وهى تتنهد :

- نعم ، حسبت الأمر مجرد تعاطف قلبي ،
حتى اختاروا شقتنا مكانا لاجتماعهم ، وعبثا
حاولت منع ذلك فضلا عن اقناعه بالتخلي عنهم -
فتمتم عزت متفكرا :
- انه شيء خطير حقا ..
- لذلك ألجأ اليك ..
فتساءل في حيرة :
- تعنين أن أفاتحه في الموضوع ؟
- أعندك رأى آخر ؟ .
- ألا يغضب لافشائك سره ؟
فقالت بسرعة :
- لا يجوز أن يعرف ذلك !
- فكيف أفسر له معرفتى بالأمر ؟
- لا أدري .. ولكن أبعد ظنه عني !
نظرت في ساعة يدها . نهضت وهى تقول =
- اعتمادى بعد الله عليك ..
وسرعان ما غادرت الحجرة .

١٦

تركته في دوامة ، دوامة لا تبقى عضوا واحدا
 في موضعه الطبيعي ، الدنيا ألوان وأصوات
 وأفكار وملائكة وشياطين متلاطمة ، ثمل بالثقة ،
 تحفز للمساعدة • تحير طويلا • عبره طرب
 مجهول • وكان عليه أن يهتدى الى فكرة •
 وتعرض أفكاره صورة حمدون في لباس السجن ،
 أو فوق المشنقة • يقول لنفسه بصوت مسموع
 لا بد من خطوة لانقاذ الموقف • لا يجوز أن تهجر
 بدرية أو تترمل ، لا يجوز ؟ •
 عليه أن يكون عند حسن الظن به • عليه ألا
 يهمل واجبه • القدر أيضا لا يهمل واجبه •
 عند انتهاء الليلة قبل الختامية قال عزت
 لحمدون :

— أود أن أحتفل بالنجاح في شقتك ولا أريد
 رابعا معنا !

بهت حمدون عجزة وقال :
 — لست الليلة على ما يرام !
 — سوف ينعشك الويسكى ••
 فتساءل مترددا :
 — أليست شقتك أوفى بالغرض ؟

— ولكنها غير خالية !
— دعنا نر عشيقتك الجميلة !
فتساءل عزت باستياء :
— كأنك لا ترحب بي ؟!

★ ★ ★

ما كاد يستقر بهم المقام في الشقة حتى دق
الجرس • هرع حمدون الى الباب • عاد بعد
دقائق وقد زائله التوتر • رفع عزت كأسه قائلاً :
— صحتكما •• أزائر في هذه الساعة من
الليل ؟

فأجاب حمدون ضاحكا :
— طارق أضله الظلام !
شرب جرعة وهو يردد بصره بينهما ثم تمتم :
— لا تحاولا خداعي •
— خداعك ؟ !
— لا تحاولا خداعي •
تساءلت بدرية :
— ماذا ؟

فقال عزت بهدوء مخيف :
— انكما متهمان !
هتف حمدون شاحب الوجه :
— صارحنا بما في نفوسك •
فقال باقتضاب وثقة :
— أبناء الغد !

- اشتد اصفرار وجه حمدون ، غضت بدرية
عينيه ، قال حمدون :
• لا أفهم .
- بل تفهم كل شيء .
هبط صمت كالموت ولكنه لم يستقر طويلا ،
فتساءل عزت :
- أى خطر تعرضان نفسيكما له ؟
سأله حمدون باهتمام :
- من أخبرك ؟
- شخص أثق به .
- الوغد !
- من تقصد ؟ .. انك لا تعرفه ! .. لولا ثقتي
في أمانته لحثثتك على الهرب ..
- يوسف راضى !
• كلا .
- هو دون غيره .
- قلت كلا وأقسم على ذلك ! .. ومن أين له أن
يعلم ؟
- انه معنا ضمن مجموعة أخرى ولكنه يعتقد
أننى أصادر عبقريته !
- أقسم لك أنه شخص آخر .
- من هو ؟
- لست فى حل من ذكر اسمه ، سأخبرك به

ذات يوم عندما يحلنى من قسمى ، لا أهمية
لذلك ، كيف تورطتما فى ذلك ؟

فقال حمدون بضيق :

— لا علاقة لها بالأمر .

وقالت بدرية :

— لا أهتم الا بالمسرخ . .

فقال عزت مخاطبا حمدون :

— ليتك كنت كذلك . .

— لا حيلة لى فى ذلك . .

— طول عمرك تشغل نفسك بأمر لا تهم أحدا .

— لا تهم أحدا ؟!

— لن أجادلک فى ذلك ، أريد فقط أن أعلم هل

تستمر هذه الاجتماعات المريبة ؟

فلاذ حمدون بالصمت فقال عزت :

— نحن صديقان وأكثر من شقيقين ، لنا حياة

مشتركة ، لم نكد نبداً بعد ، أمامك مستقبل باهر ،

لا زواج بين الفن والجريمة ، عليك أن تنقذ

نفسك قبل ألا ينفذ الندم . .

★ ★ ★

ورجع الى حدائق شبرا وهو يقول لنفسه

ما كنت أتصور أن الملائكة والشياطين يتجاورون

فى وطن واحد !

١٧

في غمار الدوامه ، في الليلة التالية - وهي
الليلة الختامية - رأى خالته أمونة وكريمته
احسان وشابا مجهولا يدخلون مسرحه . تلاقى
الأعين فتقدم للمصافحة ، مقابلة فاترة ، ولكنه
تعرف بعريس بنت خالته الذي دعا حماته
 للمشاركة في نزهة احتفاء بشهر العسل . لم
يغب عنه أن مهنته الجديدة ستعرف على حقيقتها
في الدار والحارة وستلوكها الألسن كنادرة من
النوادر . وكانت فكرة زيارة الأسرة تعابته من
أن لأن فعديل عنها بقرار نهائي رغم حنينه المتقطع
لرؤية سمير . انتهى عزت عبد الباقي القديم
وحل محله رجل يميل الى البدانة ، ويمارس عمله
في بيئة تكتنفها الشبهات ، وقنع بأن يكلف عم فرج
يا مسهل - وهو أصلا من أبناء الحارة -
باستطلاع الأخبار وموافاته بالأحوال .

★ ★ ★

وتحدد يوم ١٥ أكتوبر موعدا لافتتاح الموسم
الشتوى بالكلوب المصرى . نفحه نجاح الموسم
الصيفى بالثقة ، ولكن المستقبل تبدى له رغم
ذلك غامضا وأمدته أعماقه المنصهرة بالحب

والأخيلة المفزعة بالريبة والقلق ، ولم يخل ببدرية
في تلك الفترة الا دقيقة فسألها :

— كيف الحال ؟

— انتهت الاجتماعات ولكن ..

— ولكن ؟

— ولكن حمدون يمر بحال سيئة ..

وقال لنفسه حسن أن تنتهي الاجتماعات غير
أنه ابتسم ساخرا • وثمة صورة كانت تلح على
خياله ، صورة حمدون في لباس السجن يصاحبها
احساس بالألم يمجج الصوت الخفى الذى ينفص
عليه صفوه •

وقال له يوسف راضى

— من المناسب أن تقتتح الموسم بروايتى •

فقال عزت مجاملا :

— سنفعل ذلك ذات يوم •

فقال الشاب :

— انى أفكر فى دعوة حمدون ذات يوم لأسمع

رأيه وأدخل ما يراه ضروريا من التعديلات •

— خير ما تفعل •

وجرت مفاضلة فى شقة حمدون بين يوليوس

قيصر ونديم السلطان • بأيهمه يستحسن أن

يكون الافتتاح • قالت بدرية :

— يوليوس قيصر هائلة ولكن دورى نافه •

فقال حمدون :

— لقد حفظت أقوال أنطونيو حبا واستحسانا
ولعله من الطريف أن تمثل دوره •
فهتف عزت :
— دور رجل ؟ !
— لم لا ؟ • • ستكون مفاجأة مثيرة • •

★ ★ ★

ولم يتقرر شيء في الاجتماع إذ جرت الأحداث
بسرعة مذهلة • في اليوم التالي عثر على يوسف
راضى جثة هامدة في شقة صغيرة بالقبيسي يقيم
فيها بمفرده • نشرت الصحف الصورة والخبر
ووصفت الجريمة بأنها وحشية وغامضة •
ارتعد عزت وانقلبت ساحة نفسه الى مسرح
للأشباح المفزعة • انه والشيطان الوحيدان
الليذان يعرفان السر • وجد الشيطان يقبع في
أعماقه ويشير ضاحكا الى حمدون • حمدون الذي
قتل رجلا بريئا جزاء جريمة وهمية لم يرتكبها •
من الذي قتل يوسف راضى ؟ ليس حمدون وحده ،
لكنه — عزت — وراء ذلك وبدرية أيضا • يا لك
من رجل خطير حقا يا حمدون ولكنك انتهيت •
انتهيت • • انتهيت • • اليوم أو غدا
أو بعد غد • حضرة • أنت الذي بادءتنى
بالصدقة في الكتاب • أنت القضاء والقدر •
أنت الرجل المعجزة • حضرة صاحب • أين المفر
من ذلك الصوت الذى يطاردنى ويكدر صفوى ؟ ،

ما ذنب البريء الذى قتل غدرا وجهلا ؟ • وحتى
متى يلازمنى الشيطان وهو يضحك ؟ • حضرة
صاحب • فرصة • للتكفير فرصة • للجنون
فرصة • للعذاب فرصة • للحب فرصة • لنقف
أمام الميزان • حضرة صاحب السعادة • من أنت
حتى تخاصم وتحاكم وتحكم • من أنت حتى تنفذ
أيضا • دائما تصدر الاعدام على الآخرين :
فعلت ذلك مرتين • فى كل مرة يهتف هاتف الغيب
العين بالعين • أن أتحمل وقر اثمى فهو العدل •
أن أتحمل اثم الآخر هو الجنون • حتى لو لم
يخرج من العدم وجود فهى التجربة اليأسية •
لا بد لضحكة الشيطان أن تسكت • أو فليقهقه
حتى يرج الجدران • ترى فيم تفكر عين فى هذه
اللحظة من الزمان • حذار أن يسبقك الزمن •
حضرة صاحب السعادة النائب العام •

١٨

في الظاهر تستمر الاستعدادات للموسم الجديد
 لكن مصرع يوسف راضى هز الأفئدة هزة عنيفة •
 جميع أفراد الفرقة يعرفونه معرفة شخصية •
 كاتب العقود والمؤلف المنتظر • قتل أمس
 والتحقيق ينقب في كل زاوية • سئلوا جميعا ولم
 يعثر لديهم على شيء • ذهب حمدون معهم • لم
 يبع عزت بهاجس واحد من هواجسه • رجع
 بصحبة حمدون وبدرية • لاذ حمدون بالصمت
 • طيلة الوقت •

قال عزت برثاء :

— يا للخسارة !

فعقب حمدون :

— أجل ، كان شابا ••

وكعادة النساء نشجت بدرية بالبكاء • وبدت
 الدنيا غريبة كأنما تخلق من جديد ولكن في لون
 منفرد • مروا في طريقهم بصندوق البريد الذي
 تعامل معه أمس لأول مرة • ترى أغادره الخطاب
 أم لا زال ينتظر • عزت •• حمدون •• بدرية •
 صندوق البريد •• يا للوحشية يا بدرية • عندما
 لا نجد الا الشيطان كرسول للضمير الحى ! أرى

عين ناشرة المظلة لتتقى أشعة الشمس أتشرف
بابلاغ سعادتك .

★ ★ ★

في عصر اليوم نفسه ، اقتحمت بدرية شقته
بحدائق شبرا ، زيارة غير متوقعة ، متجلية
التعاسة والاضطراب ، تنذر بالمخاوف ، الخطاب
لم يصل بعد فماذا دهاها ؟ . ارتمت على مقعد
بحجرة الاستقبال وأغمضت عينيها من الاعياء ،
وقف قبالتها مذهولا ، يهمس :
- خيرا ؟! ماذا حل بك ؟

تمتتم بياس واضح :

- انه الخراب . .

- بدرية . . ارميني بما عندك مرة واحدة .

فقلت وهى تتنهد كمن يزفر آخر نفس :

- جن حمسون ، طلقنى ، ضربنى ، ذهب

ليعترف بجريمة قتل يوسف راضى . .

هتف متظاهرا بالانزعاج والعالم من حوله

يتناثر ويتطاير :

- أى جنون . .

- هى الحقيقة !

رأى فى وجهها دمامة لم يدر من أين أتت ، رأى

امراة أخرى . قال :

- أريد أن أفهم قبل أن أجن بدورى !

نحت عينيها عنه وقالت كأنما تعترف
للمجهول :

- انقلب حالي مذ علمت بمصرع يوسف ، اتجه
ظني نحو حمدون ، أدركت أن الرجل راح ضحية
جريمة لم يرتكبها ، اجتأني رعب وشعور مفرع
بأننى القاتلة الحقيقية .

- ذلك يعنى أننى شريك ولكنها محض أوهام .
- ليست أوهاما على الإطلاق ، يخيّل الى أنك
شاركتنى العذاب أيضا ، وعقب عودتنا الى البيت
لاحظ حمدون تغيرى المطلق ، انهارت قوة
احتمالى فصارحته بخوفى من أن يكون يوسف
راضى قد راح ضحية جريمة لم يرتكبها .

قال عزت بأسف :

- اندفعت دون ترو .

- انفلت منى الاعتراف وأنا فى حال بائسة

من الانهيار .

- كيف كان وقع ذلك فى نفسه ؟

- اكفهر وجهه ، استوضحنى ما أعنيه

اعترفت له بأن يوسف راضى لم يفش سر

الاجتماعات اليك وأننى أنا التى فعلت !

فقطب عزت واختفى وجهه تحت قناع غليظ

من الكآبة . وتبدت هى مشدودة الى ذكرى مفزعة

وطاغية ثم قالت :

- لا يمكن أن تتصور ما حدث ، لقد وثب من

مجلسه كالمردوخ ، صرخ ، تجلى الافتراس في
ملاحه ، لطمنى لطمه كادت تفقدنى الوعى ،
اتهمنى بالجريمة ، ومن شدة ألمى رددت اليه
التهمة ، صحت به : بل أنت القاتل !
تأوه عزت متسائلا :

— أهذا جزاء من يدفعه حسن النية الى انقاذ
من يحب ؟!

وراح يضرب الجدار بقبضته ، ويهدد
بالويل ، رمانى بالطلاق ، استمر يعوى مثل
وحش جريح .. ثم ركز عينيه على مليا وقال
بمقت شديد « أنت الجحيم أما أنا فقد انتهيت .. »
وارتدى ملابسه فى عجلة ولهوجة وغادر
الشقة وهو يقول :

— سأطلقك أولا ، ثم أسلم نفسى ..

هتف عزت :

— يا للمتعاسة !

فانخرطت بدرية فى البكاء وقالت :

— تركنى فى وحدة مرعبة !

انه يتردى فى نفس الوحدة المرعبة . لم تسرع
بتحرير الخطاب الغفل من الامضاء ؟ . كأنما لم
يكن له من هدف سوى تسجيل الخسة على نفسه ،
سيعترف حمدون قبل وصول خطابه بيوم أو
يومين . من العبث أن يمضى فى اقناع ذاته بأنه
فعل ما يمليه عليه الواجب الانسانى . وها هى

بدرية حرة وحمدون يرسف في الأغلال ، ألم يكن
ذلك حلمه الملح ؟ ! • لكنه مريض وبدرية دميمة •
والدنيا تعاني أنيميا حادة لا تصلح معها للحب ،
قال بأسى :

– اغسلي وجهك ، اشربي قدحا من الشاي ،
علينا أن نفكر بهدوء في الكارثة ••
فنهضت وهى تقول متأوهة :
– انه لا يدري كم أحبه !

١٩

عرف الآن أن حمدون عجربة المؤلف والممثل
هو قاتل يوسف راضى المحامى ، وأن الباعث على
الجريمة هو ما لاحظته القاتل من غرام القتييل
بزوجته • ذاع أيضا خبر الخطاب الغفل من
الامضاء الذى اتهم حمدون بقتل يوسف • أعيد
التحقيق مع بدرية فأكدت أقوال حمدون ولم تشر
من قريب أو بعيد الى جماعة أبناء الغد • ولم
تجد بدرية فى وحدتها المرعبة من أنيس أو معين
الا عزت • زالت دمايتها الطارئة ولكن ثقلت
ملامحها بأسى ثابت وعميق ، ورغم مرارة نفسه
لم يفقد الأمل فى مستقبل قريب أو بعيد •
واستمرت الفرقة فى أداء البروفات دون اشتراك

بدرية ، معيدة المسرحيات التى مثلتها فى روض
الفرج . وتعتمد عزت أن يشعر بدرية من أن لأن
بأنه ما زال يمارس عمله كمدير . وكانت تعلم
من ناحية أخرى بأنه لا مورد له الا العمل . لذلك
تشجع ذات يوم وقال لها :

— علينا أن نبدأ العمل فى ميعاده والا عرضنا
أنفسنا للافلاس . .

فتمنمت بضيق شديد :

— ما أبغض ذلك !

— أشاركك الاحساس ولكن لا بد مما ليس

منه بد . .

فقالت بحزن :

— نحن الآن بلا مؤلف . .

— ولكننا نملك رصييدا لا بأس به من

المسرحيات فضلا عن التراث والروايات
المترجمة . .

— انه خسارة لا تعوض !

— ذلك حق ولكن علينا أن نفكر فى كل شئ وفى

المستقبل . .

وهنا قالت برجاء :

— أود أن أنجز عملا هاما قبل بدء الموسم .

— ستجدين منى ماتتوقعين وفوق ماتتوقعين

— لقد قابلت محامى حمدون فأملنى كثيرا فى

إنقاذه من حبل المشنقة .

— أرجو هذا فقد سلم نفسه وانتحل للجريمة
عذرا مخففا •
— طلبت منه أن يبلغه رجائي في أن يتزوج مني
مرة أخرى !
فلم يدر ماذا يقول وهو يتلقى لطمة جديدة بلا
رحمة ، أما بدرية فاستطردت :
— سيعيننى ذلك على مواصلة الحياة ••
فقال بفتور :
— شيء عظيم حقا •

★ ★ ★

استعد عزت لافتتاح الموسم وهو يشعر بأنه
أحقر شيء في الوجود • لم يخفف من شعوره ما
علمه بعد ذلك من أن حمدون رفض طلب بدرية ،
بل ورفض حتى مقابلتها • وبدأ الموسم بنجاح
متوسط ، ولم يخف عنه أن بدرية فقدت الكثير
من سحرها المسرحي ، وتعاقبت الأيام لا تبشر
بخير جديد ، وفي أثناء ذلك تمت محاكمة حمدون
وقضى عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة •
وجاءه فرج يا مسهل — كالعادة — بأخبار
الحارة فقال له لمناسبة الحكم على حمدون :
— لم يعطف عليه أحد في الحارة !
فقال عزت بأسى :
— لعلهم يتمنون لي مصيرا مشابها !

— ست عين تدفع عنك بخيرها العميم نيات
السوء ..

— وما أخبار الدار ؟

— الست الكبيرة كعهدها ، هى هى لم تتغير ،
أم سمير رفضت أن تتزوج من عlish النجار
مفضلة البقاء مع ابنها ، سمير يتقدم فى الدرس
بنجاح وذكاء .

وتذكر الحديقة وعرزة الحصن العتيق وسمير
الذى سيشب جاهلا أباه ، ولكن فيم يفكر فى ماض
انقطعت عنه أسبابه الى الأبد ؟

★ ★ ★

وقال لبدرية :

— ما رأيك فى أن أجرب حظى مع مسرحية
المرحوم يوسف راضى ؟
فقالت بلا حماس :

— جرب ، الموسم حتى الآن غير ناجح تماما .
— وربما وفر لها اسم مؤلفها — الذى لم ينس
الناس مأساته بعد — نجاحا اضافيا .

فقالت بدهشة وهى تبتسم :

— صرت حقا صاحب مسرح يا عزت !
فضايقته ملحوظتها وقال بشيء من الحدة :
— لقد صرت صاحب مسرح من أجلك .
— أجلى أنا ؟ !

— أعنى من أجلك وأجله ؟

فحدجته بنظرة معتذرة ولم تنبس .
وقد حققت المسرحية نجاحا ملحوظا أقال
الموسم من ثعتره . ومضى موسم الشتاء بلا
سرور ، ولكنه نجح نجاحا فذا في موسم روض
الفرج الجديد - وكان يسرف في العمل كما يسرف
في كل شيء ولكن بلا سعادة حقيقية . وظل الحب
يطارده بلا أدنى أمل . وسنحت فرصة - والفضل
فيها لفرج يا مسهل - لتأجير مسرح الاليزيه
بشارع دوبريه فاستأجره مدفوعا بروح المغامرة
والآمال الغامضة ، وقال لبدرية :
- ها هي فرصة للعمل في قلب المدينة ، أن لك
أن تلمعي كنجمة حقيقية .

٢٠

أنفق في الاستعداد للموسم الجديد مالا كثيرا،
والاليزيه مسرح حسن بناء وموقعا وقد كان
مغلقا من أعوام بسبب اختلافات بين الورثة
حتى استحقه بحكم قضائي الخواجا بنيامين فكان
عزت أول مستأجر له في حياته الجديدة . شعر
بأنه أصبح صاحب مسرح بالمعنى الدقيق للكلمة
وأنه سيعمل بكل فخار في مجال رمسيس والأزبكية
وبرنتانيا . أجل لم يوفق الى ضم ممثل أو ممثلة

ذات شأن الى فرقته ولكنه كان شديد الثقة ببدرية،
ومضى يحلم بنجاح مرموق حتى ليلة الافتتاح .
واذا به يتلقى صدمة باردة فيرفع الستار عن
صاله ثلاثة أرباعها خالية . اعتقد بادئ الأمر
أن فرقته غير مؤهلة للنجاح في وسط المدينة ولكن
أنباء ترامت اليه عما تعانيه المسارح جملة من
فتور وانكماش . وما كان بوسعها إلا أن يستمر
ولعل النجاح الوحيد الذي قسم للفرقة كان من
نصيب بدرية اذ تقدم لخطبتها تاجر ثرى ! .
عرف ذلك عن طريق فرج يا مسهل وليس عن
طريق بدرية فضاغف ذلك من آلامه المزمنة .
وانفرد بها في حجرة الادارة في جو ثقيل من
الخيبة وفي نيته عزم على التحدى . قال :
- الحال كما ترين . ترى ماذا يحسن بنا أن
نفعل ؟

فقالت بحزن :

- يحسن بك ألا تستمر .
- الجميع يخسرون .
- هذا ادعى للأخذ برأىي .
- هل ترجع الى الكلوب المصري وروض
الفرج ؟ .
- اذا شئت .
- فقال بارتياح :
- لست متحمسة .

- لا شيء يدعو الى الحماس .
- فتساءل بارتياح أشد :
- وماذا عن مستقبلك ؟
- فغضت بصرها ولم تنبس فسألها بصراحة :
- أحقيقى ما سمعت عن رجل يطلب يدك ؟
- فأجابت بهدوء دون أن ترفع عينيها :
- نعم .
- عجيب أن يجيئنى الخبر من آخرين !
- فندت عنها حركة تتم عن ضيق ولكنها لم
- تتكلم . قال :
- وهو خبر غير معقول .
- لماذا ؟
- ألم تبدى استعدادا لانتظار الآخر ربع قرن
- من الزمان ؟
- لم يدر بخلدى الفشل . .
- وهل حقا ما يقال من أن الرجل يكبرك
- بثلاثين عاما ؟
- يحدث ذلك . .
- لعلك خفت عواقب الكساد ، ولكن ما تزال
- أمامنا فرص .
- فحدجته بنظرة واضحة وقالت :
- المستقبل غامض ، أريد أن أحافظ دائما
- على كرامتى ، ثم انى وحيدة . .
- فقال محتجا :

- لا .. لا .. لست وحيدة ..
- وتبادلا نظرة طويلة ثم مضى يقول :
- لست وحيدة ، ذلك قول أعتبره جارحا لي .
- أشكرك ولكنى أبحث عن حل دائم ومعقول .
- هنالك حل أجمل ..
- حقا ؟
- أن نتزوج !
- فتفكرت قليلا ثم تساءلت بنبرة لم تخل من
سخرية :
- بدافع العطف ؟
- فقال بحدة واصرار :
- بدافع الحب .
- الحب ؟ !
- الحب القديم والجديد .
- فقالت وهي ترمقه بنظرة ممتعة :
- انه لخبر جديد !
- لولا غبار الأحداث لرأيتك من زمن .
- أكان موجودا وحمدون معنا ؟ !
- فانكمش انفعاله وسقط في الرماد ولم يدر
ماذا يقول . وبعد فترة من الصمت الخانق وجد
منفذا للخلاص فقال :
- عاد الحب في أثناء وحدتك !
- ورجع الصمت كرة أخرى مشحونا بالريبة
وعدم التصديق ، نفخ متحمدا وقال :

- من الغباء أن نعتذر عن الحب !
فسألته بمرارة :
- من الذى أرسل الخطاب الى النيابة ؟
انخلع قلبه فزعا • لم يتوقع أن يجرد من
ثيابه بجذبة واحدة • أدرك ما تعنيه ولم يكن
نسى شيئا • ولكنه تساءل متجاهلا :
- أى خطاب ؟
- أنت تعرف قصدى ، وجهك يشهد بذلك ••
- ماذا تقصدين ؟
- أنت الذى أرسل الخطاب ••
- انك لجنونة •
- ولكنه الحق •
- انه الوهم ، ثم أنسيت أنه اعترف قبل
وصول الخطاب ؟
- فقلت ببرود :
- ولكن الخطاب كتب وأرسل ••
- تحقيق سخيف لا يقوم على أساس •
- فقلت بهدوء :
- الزواج الذى تقترحه يعنى التماذى فى
الاجرام ، منك ومنى أيضا ••
- فقال بعنف :
- المسألة أنك لا تحبيننى !
- هذا صدق أيضا ، أنا لم أحب فى حياتى
سوى حمدون ••

— ولكنك لن تتزوجي من ذلك الرجل .
— هذا شأنى ، ولا خيار لى .
فقال بغضب :
— سأمنعك . .
فقالت وهى ترفع منكبيها ، ثم مضت وهى
تقول :
— أستودعك الله .

٢١

ذهبت بدرية . توقف العمل . أطفئت الأنوار
لم يعد صوت يجلجل بخير أو بشر . تقوض عالم
الخيال . تبخر سحره . ران الأسى على كل قلب .
لن يراها وهى تمرح فى طيلسان الجارية . لن
يسعد بابتسامة الثغر . ولا بعذوبة الصوت .
نظرة متحجرة رافضة آخر ما أهدته . وداع
الاثم الضنين بالدموع . اذا هلت طلعتها فهى
خيال المحروم . كتب على جوانحه أن تتعذب
بالحنين العقيم . أن يتذوق الألم كتمززا المخور .
أن ينادى الغيب ليصده عنه سخريات الغيب .
ملعون يوم رأيتك ملعون يوم رجعت اليك . ويوم
ماكر شرير يوم لمحتك فى الكتاب . حين قدر البؤس
على الوجيه المدلل . حين تواثبت العصافير فوق

١٢٩

(عصر الحب)

الغصون محدرة • ومضت عين بحماقتها تكفر
عن حماقات البشر • وتلقى من الحصن العتيق
ثورة ولكن بقلب طفل غرير • وشهد المجانيب
والمساويل بجمالك يا بدرية • وها هو ضغط
الحياة لا يسمح للمحزون بأن ينعم بالحزن •
مضى يصفى عمله ويتخلى عن رجاله بألم بالغ •
لم يبق معه من ماضيه القريب الا فرج يا مسهل •
وحتى هذا قال له :

— أن لك أن ترجع الى دارك العامرة •
كيف يرجع بالخبيثة والجريمة والحب
الضائع !! قال :
— فات الألوان ••

— مكانك هناك ، ستجدنى فى خدمتك ، لقد
خلقت للوجاهة والعز •
— تريد أن ترجعنى الى البطالة والغم ••
— بل الى الوجاهة والزواج ثم الحج الى بيت
الله !

فقال باسم :
— انى الآن فى زمن العذاب ، فى عمر قادم
سأعمل بما يناسبه ، أليس عندك رأى آخر ؟
سرعان ما تحول الرجل من أقصى طرف الى
أقصى طرف ، سألته :
— هل عندك مال موفور ؟

— نعم •

— عظيم ، حول المسرح الى ملهى ليلي ، فهذا
زمن الملاهي !

— ألك خبرة بذلك يا مسهل ؟

— الحمد لله ، سيبقى المسرح كما هو ، تتغير
الصالة ، البوفيه يكبر ، أما البنات وخلافه فدع
أمرها لي . .

أدرك أنه يفوص في أعماق مظلمة . لم يفزع
ولم يتردد . ألقى بنفسه في تيار الاستهتار وكأنما
ينتقم من عدو مجهول . وراح يا مسهل في تفكير
عميق وهو يقول :
— ربحه مضمون .

★ ★ ★

انهمك في تحويل المسرح الى ملهى ليلي . جاء
البناءون والنجارون جرى الاتفاق مع الفتيات
والجرسونات والعازفين . مثل الادارة خير
تمثيل ببدايته المتزايدة وحزمه المكتسب وانتقل
من شقة حدائق شبرا الى شقة بشارع دوبريه
نفسه . وزود نفسه بما تشتهي من طعام وشراب
ومخدر ونساء . صمم على نسيان بدرية كما
نسى عين من قبل ، وأن ينسى كذلك جريمته .
وجعل يقول لنفسه انه ما فعل الا أن أرشد
العدالة الى قاتل . ورغم ذلك لم يستطع أن يبدد
سحب الكآبة ولا أن يسكت صوت النكد الخفى .

★ ★ ★

وعلى فترات متباعدة من الزمن تجيئه أخبار
 الحارة فتثيره وتنعشه • يجد فيها جديدا وسط
 لياليه المفعمة باللحن والطرب والبرقص
 والعجائب • أمه تطعن في السن ولكنها لا تفقد
 حيويتها ونشاطها الدعوب على الخير • تمضي
 متوكة على المظلة أو ناشرة أياها من درب الى
 درب ، ومن بيت الى بيت ، وقد أضفى الخيال
 عليها بركة وقداسة ، وسلم أخيرا بالاعجاب بها
 بلا حدود ، فالعمر الطويل الذى يتحدى الزمن
 بنشاطه وقدراته مما يستحق الاعجاب والتقدير •
 انها مصممة على الخلود والشباب • وسيدة
 أصبحت وكأنها صاحبة الدار وبخاصة بعد وفاة
 أمها • أما سمير فانه يشق طريقه بنجاح خليك
 بأن يكفر عن سقوط أبيه ، وها هو يتأهب لدخول
 مدرسة الهندسة ، وكما يخلق من ظهر العالم
 فاسد يخلق من ظهر الفاسد عالم • •
 وربما تساءل أحيانا عما جرى لبدرية • وقد
 تكفل الزمن باعدام حبه هذه المرة حتى الموت
 وليس كالمرّة الأولى • انه يدرك الآن أن كل شيء
 يموت وأن ما يلزمنا حقا هو شيء من الصبر عند
 الملل • لعلها اليوم أم محجوبة وراء الأستار أو
 لعلها أرملة ، أو لعلها مطلقة وشريفة • ماذا يهم ؟
 ما هى الا مجرمة • هى قاتلة يوسف راضى •
 هى دافعتة الى الخيانة ، هى مرسله حمدون الى

التأبيدة • ماذا بقى من جمالها ؟ • أى شىء هذا
الجمال الذى يعيش بضع سنين ؟ • ولكن كتب
على الانسان أن يتعذب بلا سبب ، ولولا الطعام
والشراب والمخدر لفسدت الأرض •

★ ★ ★

وتمر أعوام أيضا • تتراكم أرباحه ، تزداد
بدانته ، ترمقه الأعين بالحسد ، يجد فى الهروب
من الألم والكآبة • آمن بأن السعادة هى التخفيف
من الألم المحتوم ، وأن الانسان يتألم لسبب فاذا
لم يجد السبب تألم أوتوماتيكيا • وذلك الملل
الخفى الذى يتبعه كما يتبع الصوت عجلة العربة
بلا تحديد لمصدره • أما أسعد الأوقات حقا فهى
وقت النوم العميق • وانه ليرنو الى الضاحكين
بارتياب حتى خيل اليه أن ملهاه الليلى ما هو الا
بؤرة للمجانين والتعساء • ترى هل تنتهى هذه
الحياة بخراب فناء شامل ؟ ! • وعجب كيف أنه
لا يعرف فى دنياه من يأنس اليه الا فرج يا مسهل •
وأيقظه أرق فى الهزيع الأخير من الليل •
جاش صدره بالعواطف الحزينة الغامضة • قرر
فجأة أن يستدعى ابنه ليراه •

٢٢

انتظر في شقته الأنيقة ضحى يوم الجمعة • لم
يتصور أن يتخلف عن الحضور • وحتى لو وقع
المحذور فليتحمل ما جنت يداه •
« عزيزى سمير ••

لا تدهش • كاتب الخطاب هو أبوك • سوف
تتساءل أبعد ذلك العمر ؟ لكنك لم تعرف أعماق
حياتى حتى يحق لك الحكم على • أبوك يدعوك
الى مسكنه (عمارة ٣ ، شارع دوبريه ، شقة ١٤)
صباح الجمعة القادم (١٤ مارس) • ما كان
يجوز أن نفترق ذلك الزمن الطويل ونحن في مدينة
واحدة • الأسباب كثيرة ولعلك سمعت الكثير
ولكنك لا تعرف كل شيء • انى والدك على أى حال •
من الواجب أن نتعارف • سيسعدنى جدا أن
أقابلك •

« عزت عبد الباقي »

لن تمنعه من الزيارة أمه ولا جدته • ارتدى
البيجاما والروب ، حلق ذقنه بعناية ، سوى
شاربه ، مشط شعره ، تطيب ، انتظر • وفي
الساعة العاشرة دق جرس الباب • انتقل الرنين
الى قلبه ، هرع بجسمه البدين الى الباب • فتح ،

رأى شاباً لم يشك لحظة في هويته • خفق قلبه
 كما لم يخفق من قبل • فتح ذراعيه • أخيراً
 تلاقى الأب والابن وتعانقا • • مضى به الى حجرة
 الجلوس • جلسا على فوتيلين متقابلين وراء باب
 الشرفة المغلق • بينهما خوان عليه طبق سمح
 متعدد الثغرات مليء بالفواكه والنقل والشيكلات
 ودورق ماء ، وقارورة اسباتس وقدر نو حامل
 فضى • راحا يتبادلان النظر في اهتمام وانفعال
 وعلى شففى كل منهما ابتسامة متألقة ترتعش في
 شيء من الارتباك • سره أن يراه رشيق القامة
 مع ميل الى الطول ، وأن يرث عيني « عين »
 الجميلتين وأنفها الطويل السامق وجبينها
 المرتفع • يا له من شاب مليح عامر بالحيوية
 والذكاء •

وقرر انهاء الصمت فقال :

— انى سعيد جداً برؤياك •

فأجاب بصوت ذكره بصوت سيدة :

— وانى لأسعد يا أبى • •

وهو يضحك :

— لا شك أنك تعرف عنى أشياء ، لعلها غير

سارة ، أنا أيضاً أعرف عنك الكثير ، عندى من

يوافينى بالأخبار ، ومن ذلك تدرك أننى لم أتناس

الأهل والمكان • ولكن لنسعد جانباً ما يعكر

الصفو ، ولندافع عن سعادتنا المشتركة ما أمكن

- خير ما نفعل .
- أنت طالب في الهندسة ؟
- أجل .
- وناجح في دراستك فيما بلغني ؟
- أملئ كبير في بعثة الى الخارج .
- فأشار الى الخوان يدعوهُ الى تناول شيء وقال :
- هائل ! أبوك لم يحب الدراسة ولم يوفق فيها ، وتسليتي في قراءة قصص الجريمة ، لكن الزمن يجيء دائماً بالأحسن ، كل واشرب ، ثم حدثني عن حياتك .
- فقال وهو يصب الاسباتس في القدح :
- دراستي هي شغلي الشاغل ، في العطلة أمارس الرياضة والمطالعة . .
- لا تلمني اذا لم أسألك عن أمي أو أمك فاني أعرف عنهما كل شيء ، ماذا تطالع ؟
- موضوعات شتى . . سياسة . . أدب . . دين . . وأحب السينما كذلك . .
- وهو يضحك مرة أخرى :
- والمسرح ؟
- فعصر عينيه من الدموع التي بعثتها الغازوة متجاهلاً السؤال فقال عزت :
- لذلك أفلست المسارح ، وهل تهتم بالسياسة ؟

- الجيل كله يهتم بها .
- فغشيت عينيه نظرة جادة وتمتم :
- للسياسة مآسيها !
- أحيانا .
- فقال عزت معاودا المرح :
- لن أنصحك بشيء ، أتدرى لماذا ؟ ، لأننى
- ما عملت بنصيحة أحد !
- فقال سمير بحبور غمره من خلال ألفة
- متزايدة :
- طالما تشوقت لرؤياك ..
- ولم لم تشبع أشواقك ؟
- خيل الى أنك لا تهتم برؤيتى
- تخيل خاطيء مائة فى المائة ولكنك لا تعرف
- كل شيء ..
- وقدم له برتقالة ثم سألته :
- لم يكن لى أصدقاء كثيرون . وأنت ؟
- لى كثيرون منهم ، فى الحارة والمدرسة ..
- ولا شك أن علاقتك بأمك وجدتك جميلة ؟
- على خير ما يرام .
- أيهما أحب اليك ؟
- فابتسم وقال :
- الأم هى الأم ولكن سحر جدتى لا يقاوم !
- انها العجيبة الثامنة فى الدنيا ..
- كيف هان عليك أن تهجرها ذاك العمر كله ؟

وقال لنفسه ان ابنه لم يعرف الضجر ولا
الألم بعد ، واذا به يقتحمه متسائلا :
— هلا حدثتني عن حياتك العاطفية ؟
فارتبك سمير وبدا عليه أنه لم يفهم فرحمه
أبوه وسأله :
— يهمنى أن أعرف أننت سعيد ؟
— أعتقد ذلك •
— في ذلك الكفاية ، أرجو أن تكون سعيدا حقا •
— أعتقد ذلك •
— عظيم ، استمتع بوقتك فالحياة لا تبقى على
حال •

فتفكر الشاب مليا ثم سأله :
— وكيف حالك أنت يا أبى ؟
— ناجح والحمد لله •
— أعنى أننت سعيد ؟
— فضحك عزت عاليا وقال :
— أعتقد ذلك !
— لدى سؤال ولكنى أهاب طرحه ••
— صارحنى بما تشاء ••
— أننت متزوج ؟
— ماذا يقولون هناك ؟
— يقولون انك متزوج ••
— ومن الزوجة التى زعموا ؟
— بدرية المناويشى !

- فضحك عزت مداراة لانفعاله وقال :
- أتزوج من امرأة الصديق السجين ؟ ! ..
- هل تصورت أن أباك يرتكب فعلا خسيسا كهذا ؟
- فقال سمير مرتبكا :
- ربما كانت الشهامة لا الخسة هي ..
- فقاطعه قائلا :
- أبوك لم يتزوج ولم يفكر في الزواج .
- ثم وهو يعاود الابتسام :
- وماذا تعرف عن عمل أبيك ؟
- صاحب ملهى ليلي .
- ترى ما رأيهم في ذلك ؟
- فقال سمير ضاحكا :
- انك أدري بأهل حارتنا !
- وأدري بجذتك أيضا .
- ولكنها تحبك دائما ، لا يمكن أن تتصور
- كيف كانت فرحتها بخطابك !
- وأنت يا سمير صارحتني برأيك في عملى ..
- انه عمل شريف يا أبى .
- لعلها اجابة مدرسية !
- ولكنها صادقة ..
- ألا يسيئك أن يعلم بها زملاؤك ؟
- انهم يعرفون !
- أنت ولد شجاع .
- بل أنت الشجاع يا أبى ..

— حقا ؟ !

— تفعل ما تشاء دون اكتراث لآراء الناس !
وتبادلا نظرة باسمة وغامضة ، وتساعل عزت
تري ألم يكن يفضل أن يجد أباه أقل بدانة وأنظف
عملا ؟ ! • وشعر بأنه ما زال عند أول درجة من
درجات التعارف • وأن الكلفة لم ترفع بعد
بينهما ، قال :

— لا يجوز بعد اليوم أن تغيب عني طويلا ،
سأنتظرك كل جمعة • •

فقال سمير معذرا :

— أعدك بذلك ولكن بدءا من العطلة الصيفية •
تلقى أول خيبة ولكنه قال :

— أجل ، الامتحان يقترب ، فليكن ، وعلى
فكرة لقد أعددت لك غداء طيبا !

٢٣

بدخول سمير في حياته تغير تركيبها بعض
الشيء • على أي حال لم تعد كما كانت • وتوثقت
العلاقة بينهما في الصيف فتحولت الى معاشرة
على مستوى رفيع • فاز بسعادة صافية يوم
الجمعة ، وأغدقت عليه ذكريات عذبة بقية
الأسبوع • ومنه عرف أنه يحب طالبة بكلية

العلوم تدعى رجاء وأنه سيعلم خطبته فور انتهائه من الدراسة فسعد عزت بالخبر . رحب بالحب الموفق واعتبر نفسه مشاركا فيه على نحو ما . هنا ابنه على التوفيق الذى حرم منه طيلة عمره . ترى كيف كانت تكون حياته لو تزوج من بدوية يوم رغب فى ذلك ؟ . أى حياة نظيفة ومستقرة أفلتت من كليهما ؟! ترى ألا تخطر لها مثل هذه الخواطر أحيانا ؟ أما الذى أزعجه حقا فهو اهتمام ابنه الواضح بالسياسة . أصبحت السياسة مقرونة فى ذهنه بالخيانة والجريمة والضياع . قال له مرة :

— السياسة شديدة الخطورة يا سمير .

— ألم تشغل بالك أبدا ؟

— كلا .

— وتظن أنه لذلك توفرت لك السعادة ؟

خطف منه نظرة فقد حسبه يسخر منه ولكنه

وجده جادا بريئا . قال متهربا :

— لقد قضت السياسة على صديقى الوحيد فى

هذه الدنيا .

— حمدون عجرفة ؟

— أجل ، أسمعت عن جماعة أبناء الغد ؟

— طبعاً .

— انها للأساسة حقا .

فقال سمير باسمه :

- ومأساة أيضا ألا نهتم بالسياسة •
- كان يردد ذلك ، ألا يكفيك أن تكون مهندسا
- ورب أسرة ؟
- لا هندسة ولا أسرة بلا سياسة !
- مرحى •• مرحى •• يوجد ما هو أهم •
- حقا ؟
- يطيب لى فى أوقات فراغى النادرة أن أتساءل
- عن معنى حياتنا !
- ولكن السياسة تعطيك الجواب !
- فضحك عزت عاليا وقال :
- لا فائدة ، ولكن معذرة فقد أصبحت من
- رجال الماضى !
- ما زلت شابا !
- ابتسم عزت بمرارة • ابنه لا يدري ماذا
- يقول • لا يرى هذا الكرش • ولا هذه التجاعيد
- المبكرة تحت عينين أضناهما السهر والشراب
- والمخدر • ولم يعرف شيئا عن الخطاب الغفل
- من الامضاء ، ولا عن احتقار المطلقة المهجورة
- له وايثارها لحيوان طاعن فى السن • وعاد
- يسأله :
- وما الهدف من السياسة ؟
- فأجاب بعد تفكير :
- هو هدف كل انسان ، السعادة !
- ولكن للسعادة سبلا أسهل وأقل خطورة •

— لا أظن ، نادرا ما يحقق انسان ذاته
وسعادته مثلك !

فقال بحدة غير متوقعة :

— لا تضرب بى المثل من فضلك !

وتذكر أمه فى اصرارها الأبدى وجولاتها
الخالدة فقال ان الولد سر جدته ، كلاهما مصاب
بجنون واحد ولكنه فريد فى نوعه . أما حياته هو
فهى السعى الدائب نحو سعادة لا تريد أن
تتحقق . وقد وهب الصحة والمال والنجاح
والمرأة ويعيش مطاردا بقوة مأكرة خفية . وقال
بنبرة جديدة مستسلما :

— أتدرى يا بنى ، يبدو أن أكبر خطأ نرتكبه فى
حياتنا هو الاعتقاد بأن الهدف هو السعادة .

فسأله سمير ببراءة :

— فما البديل ؟

فقال فى حيرة وهو يضحك :

— لا أدرى .

— ولكنك خبرت الناس والحياة . .

— لا أرى فى الملهى الا السفهاء والمجانين .

فضحك سمير فى حبور فاستطرد عزت :

— لعل النقص يكمن فى أننا نمر بفترة انتقال .

— أجل ان وطننا . .

ولكنه قاطعه قائلا :

— أعنى الانسان ، انه قادر على ادراك
تعاسته . . .
— الأمر سهل ، ما علينا الا أن نزيل أسباب
الشقاء !
فارتفع صوته وهو يقول :
— صديقى حمدون فقد حياته وهو يفعل ذلك .
— ان التضحية . . حسن ، لا بد أنك تسلم
بقيمة التضحية ؟
فأجاب ضاحكا :
— كلاً ، انها حماقة لا يبررها الا الجنون .
ولما انفرد بنفسه عقب ذهاب سمير قال :
« آه لو أجد الشجاعة للاعتراف بخطيئتي ! »

٢٤

تخرج سمير مهندسا . أعلنت خطبته على
رجاء . اختير لبعثة مدتها عامان في انجلترا .
دعا عزت ابنه وخطيبته للاحتفال بهما في شقته .
أعجبته الفتاة . غزاه جو الخطبة حتى الأعماق
— حن فجأة الى حياة زوجية مستقرة . وجد في
حنينه المباهلة فكرة جديدة ، مأكرة ، ولكنها
قوية أسرة . لكن أى عروس تناسب رجلا في

سنه ؟ • ان نفسه تعاف النساء اللاتى يزرن
شقته من أن لآن • يريد أن يرفع النقاب الأبيض
عن وجه برىء فى ميعة الشباب • لعل ذلك آخر
ما ينتظره من سلسلة المغامرات الجنونية • وهبط
عليه الالهام الذى يسبق الاقدام • انه يتذكره
وهو به خبير • غير أن يناييعه جفت وهو يودع
سمير • قبله وهو يقول :

– ليس من اليسير أن أصبر عامين •
وخلت دنياه من الكائنات والحياة • كما
خلت يوم اختفاء بدرية ، ومن عجب أنه توثب
رغم ذلك لتحقيق حلم الزواج الطارئ •

★ ★ ★

يقول الراوى :

ان الحوادث لم تمهله ، كعادتها معه دائما •
تجىء اذا جاءت منقضة كأنما لتفرغ من مهمتها
فى أقصر وقت • فذات صباح جذب بصره هذا
العنوان فى الجريدة « القبض على فرع لجماعة
اخوان الغد » • ولأسباب تاريخية ليس الا • •
سرت فى بدنه رعدة شديدة واجتاحه شعور
بالتشاؤم عميق • وقرأ التفصيلات باهتمام مركز
لا يتفق وما عرف عنه من لا مبالاة ازاء ذلك
النوع من الأخبار • انه يتابع الأخبار هذه المرة
وكانما هو عضو فى هذه الجماعة المخيفة ، وكأن

من قبض عليهم من الشبان أقرانه ، وما ضبط
من منشورات هو شريك في تحريرها وطبعها
وتوزيعها . ونشر خبر القبض على الفرع
باعتباره أول نصر يحققه جهاز الأمن في ذلك
المجال ، وأنه الخيط الذي سيؤدي حتما الى
أوكار الجماعة حيثما وجدت . ومضى يهش
الذكريات المعتمدة عن خياله المريض ، ويلعن
الضعف الذي اعتور أعصابه . ولكنه تابع
الأخبار يوما بعد يوم حتى صدر البيان الرسمي
عن الموضوع . لقد قبض على الكثيرين ،
والمطاردة جادة في ادراك الهاربين . واذا بالبيان
يشير الى حقيقة جديدة ما ن اطلع عليها حتى
تردى قلبه في هاوية . . بل نددت عنه صرخة
مدوية في شقته الخالية . ثمة كلام عن سمير عزت
عبد الباقي . عضو البعثة الهندسية بانجلترا .
الذي هرب من انجلترا في اللحظة المناسبة الى
مكان مجهول . راح يتمشى مهرولا بجسمه البدين
ويتساءل في ذهول « سمير عضو في جمعية أبناء
الغد ؟! سمير هرب الى مكان مجهول ؟! هل
يختفى سمير الى الأبد ؟! هل يلتهمه الضياع
والتشرد في الغربة ؟! ها أنت تنتقم مني يا حمدون
عجربة . انى خبير بهذه الألاعيب القاتلة التى
تصادفنا ونحن نجد فى سبيل السعادة ! . عزت

وسيدة وعين ينصهرون في بوتقة تعاسة واحدة .
يا لها من الأعيب قاسية مجنونة يحركها شيطان
ساخر . . وشرق بالدمع فجفف عينيه بالمنديل
الحريرى المطرز ركنه بالحرفين الأولين من
اسمه . وقال له فرج يا مسهل معزيا :
— حظه على أى حال أسعد من الذين قبض
عليهم . .

— لا أدري . . انى واثق من شىء واحد فقط
وهو أننى لن أراه مرة أخرى في هذه الحياة . .
فقال الرجل بتسليم :
— لا يعلم الغيب الا الله . . هلا زرت الست
الكبيرة ؟

خطر له هذا وهو غارق في حزنه . . أن يزور
عين وسيدة . . ولكنه سرعان ما نبذ الفكرة في
غضب ونفور . ليس الوقت بالمناسب للتمثيل
والحركات البهلوانية . انه يعلم الآن بما قدر
عليه . أن يقلع عن أحلام السعادة السخيفة ، أن
يتسول رؤية لن تتحقق ، أن ينفذ حكما بالأشغال
الشاقة المؤبدة وهو قائم بين السكارى وطلاب
اللذة .

★ ★ ★

وزحف عليه تعب من نوع جديد شمل الرأس
والأعضاء . وعانى من صداع لم يعرفه من قبل

ربما كانت الفائدة الوحيدة لذلك الألم الوحشي
أنه أجبره - ولو الى حين - على تناسي أزمته
الأبوية ، وألا يفكر في شيء سواه . ولأول مرة
يقصد عيادة طبيب . واكتشف أنه يعاني من
ارتفاع كبير جدا في ضغط الدم . وعملا بمشورة
الطبيب وافق على دخول مستشفى الجمعية
الخيرية الاسلامية ليظفر برعاية متصلة حتى
يزول الخطر . وهدف العلاج الى تخفيض الضغط
وانقاص وزنه عشرين كيلو على الأقل . وأشرف
فرج يا مسهل على الملهى ، وكان يزوره
باستمرار ، وكان يقول له :

- دعنى أخبر الست عين .

جعلله هذا الاقتراح يستشعر الخطورة ويفكر
في الموت . تخيل عين جالسة مكان فرج يامسهل .
كلا انها لن تفارق الفراش . سينهال عليه سيل
فياض بالدعوات المباركات والآيات الشريفة .
ستقول له أن لك أن تغير حياتك ، ستقول له أيضا
انى أعرف سر هذا الشقاء كله . ورغم حنينه
الطارئ المستفحل بالرقاد والتفكير في الموت
فانه لم يستسلم .

قال :

- لا تخبر أحدا ، لا عين ولا أحدا في الملهى .
- ترى ذلك ؟

— نعم ٠٠ نفذ بكل دقة ٠٠ لا عين ولا أى
راقصة ولا أى قواد !

وأخذ يتلقى التحذيرات عن البدانة والطعام
والشراب ، تهاوت الحصون التى يحتفى بها من
الحياة وأطوارها الغريبة • يجردونه من
أسلحته ، ويتحالف المرض مع العقوبات
المفروضة ، ومن عجب أن رأى فى نومه قطط الست
عين فى الحديقة ، ورأى بينها بركة بهدونها
الشامخ ، وتهلل لذلك سرورا وظن أنه سيفاجئ
عين بالخبر السعيد وهو أن بركة حية لم تمت كما
توهمت وأنه ما كان يجدر بها أن تبكى • واستيقظ
ليلتها عند الفجر بقلب ثقیل بخلاف المتوقع ، كمن
يرجع من رحلة طويلة عقيمة ، فخطر له أن الدنيا
قطة وأنها تأكل صغارها وقال بصوت مسموع
فى سكون الليل :

— اذا كان شارع دوبريه والاليزيه سجننا
فالحارة ليست الا زنزانة !

★ ★ ★

وغادر المستشفى نحیلا هزیلا ولكن سلیمًا •
تهددت ملابسه الداخلية والخارجية ، وتبدى
العالم متفسیر اللون ، باردا ، لا یحیی ولا یرد
تحية • ورجع للتفكير فى سمیر، ولكن من خلال
استسلام شامل • وحرص على الحياة رغم كل شئ

فاحترم الرجيم والدواء ومواعيد التردد على
 العيادة . وهجر الكأس ولكنه لم يهجر الجوزة .
 وأعاد تفصيل ملابسه . رجع رشيقا كما بدأ .
 انتشر المشيب في رأسه وحاجبيه وشاربه . بدا
 كهلا وقورا يتتأفر وقاره مع بيئته وعمله . وكلما
 تذكر أنه جاوز الخمسين يدهش ، لا يصدق ،
 يستحضر مناظر خالدة في خميلة الياسمين أو
 كتاب الشيخ العزى أو تمثيل مسرحية روميو
 وجولييت في الحارة . كان يظن أن ذلك يحدث
 للغير فقط . فالظاهر أن التاريخ صادق فيما
 يؤكد من مرور أقوام في القديم وذهابهم . وحتى
 متى نسلم بذلك ونذعن له ؟ ولكن شكرا للعادة
 فقد قتلت كل حزن وكل فرح - ولعله من الخير أن
 نترك الدنيا بعد أن نضيق بها مللا .

★ ★ ★

وماذا عن الحارة ؟
 ان المخبر مستمر في رواية الحكايات . مازالت
 سيدة منطوية في الدار منطوية على أحزانها .
 ما زالت عين مصرة على نشاطها . لكن هيهات .
 لم تعد تخرج الا مرة واحدة في الأسبوع . كتمثال
 للشيوخوخة الخالدة . وتسير اذا سارت بصحبة
 خادمة . ترى ماذا بقى من الذاكرة والارادة
 والذكاء ؟ وأي الحزنين أشد عليها حزنها على

عزت أم حزنها على سمير ؟ • وما رأى إيمانها !
الراسخ في هذه الأحوال الغريبة ؟ ! هل لقي
الموت مقاومة أشد مما لقي على يدى عين ؟ !

٢٥

يقول الراوى :

ان عزت عبد الباقي لم يتوقع جديدا الا أن
يكون انزال الستار واطفاء الأنوار • ولكن فرج
يا مسهل زاره في شقته ذات صباح من أيام
الخریف وقال له :

— عرفت خبرا غريبا لعله يهكم أنت أكثر من
جميع الناس •

فقال عزت ساخرا :

— لك الملهى وما فيه ان استطعت أن تشعل
اهتمامى ! •

— لكنه خبر يحكى على أى حال •

— ما هو ؟

— بدرية المناويشى نجمة مسرحك القديم • •

من أى صمت يخرج هذا الاسم ! نجمة مسرحك
القديم • لم يحدث أى رد فعل • نجمة يتهادى
ضوءها اليه من خلال أعوام طويلة طويلة ،

وكالنجوم تشكل ذكرى متألفة وحاضرا مجهولا .
أى معنى للخبر ؟ • لا معنى على الإطلاق ولا
أهمية • تساءل بفطور :

— ماتت ؟

فضحك يا مسهل وقال :

— كلا ، يقال انها ترملت منذ عامين أو نحو
ذلك ، وانها ورثت مالا سائلا لا بأس به ، ولكن
أتدرى كيف استثمرته ؟ •

— كيف ؟

— أسمعت عن ملهى زهرة النيل الليلي ؟ !

— هو ملهى فى عوامة فيما أعلم •

— بدرية صاحبه وما يريته !

ابتسم ابتسامة بلهاء ، تميم :

— مدهش !

— ربما تكون قد حنت الى أصلها أو قريب

منه •

— أو أنها خافت الوحدة والكهولة ••

— الأرجح أنها اختارته لضمان الريح ••

وضحك عزت • عزت صاحب ملهى الاليزيه .

وبدرية صاحبة ملهى زهرة النيل ! •

★ ★ ★

بدافع الفضول ، بدافع الضجر • قرر أن

يسهر ليلة فى زهرة النيل • قال لنفسه غرفت الآن

لم يرغب الناس في زيارة الآثار . استعد بحمام
فاتر ، بدلة أنيقة ، حلق ذقنه وسوى شاربه
وشعره ، مضى الى زهرة النيل . أعمارنا متماثلة
٠٠ حمدون وأنا وبدرية وسيدة وكل أخذ نصيبه
بالعدل . من المسئول عن تعاسة الجميع ؟ أنا ٠٠
حمدون ؟ بدرية ؟ سيدة ؟ ٠٠ أما كان
يجب أن نحاكم ؟!

والعوامة معدة على هيئة صالة ، باللغة الأناقة
مرتفعة الأسعار . تشهد لمن أسسها بالذوق
الجميل والبراعة في الخيال . اتخذ مجلسه
وراحت عيناه تجوسان في الأركان والصفوف
والمرح ، ان صح ظنه فحجرة الادارة تقع فوق
السطح ويصل اليها بهذا السلم الحلزوني
المفروش بالبساط الأحمر . طلب زجاجة
شمبانيا . كان الوحيد المنفرد بنفسه . لماذا
جاء ؟ ولماذا لا يجيء ؟ . وغنى شاب بطريقة
الافرنجواراب . تلاه مونولوجست ، ثم راقصة .
هل تمضي الليلة دون ظهور بدرية ؟! كان ينظر
من أن لأن الى السلم الحلزوني . انتبه على طقة
حذاء . أخذ الجسم يظهر ويودا فوق السلم
الحلزوني من أسفل الى أعلى حتى استوى عند
رأس الصالة ، بدرية المناويشي ، وقفت تراقب
وتلاحظ . مديرة بكل معنى الكلمة ، فراح

يتفحصها • كان يتوقع تغيرا ولكن غير هذا
 التغير المائل • بدينة مثل امرأة عمدة • ريانة
 الوجه بدرجة تدعو للنفور • جف الماء العذب
 وانطقاً التآلق • في مثل عمرها يحتفظ نساء بأثار
 جمال ولكنها لم تحتفظ بشيء • ثم ما معنى هذه
 النظرة في العينين المكحولتين ؟ • ليست طبيعية ،
 مريضة ؟ • مهزوزة الأعصاب ؟ • فاقدة
 الذاكرة ؟ • حكاية تاريخ طويل تعيس ! • مرت
 به عينها فلم تقف عنده • من الأفضل أن
 يتجاهلها وأن يتحاشاها • ولكن ها هي تتهادى
 في المشى الجانبي • ورغما عنه لم يهرب منها
 بعينه • لقد جاء وعليه أن يتحمل المسؤولية •
 لم يعد يفصلها عنه الا متر • تلاقى العينان •
 ابتسم اضطرابا • وقفت مبهوتة لا تصدق
 عينيها • وقع المقدور • زحزح كرسيه ووقف •
 همست :

– يا ألطاف الله ••

مد يده فتصافحا • أشار الى الكرسي الخالي
 هامسا بدوره :

– تفضلي ••

فجلست وهي تتمتم :

– يا حسين مدد !

فضحك عزت متسائلا :

– اطلب لك كاسا ؟

— كلا ٠٠ نسيت عاداتها ٠٠ وأنت لم تشرب

بعد ؟

— ولن أشرب ، ولكن بسبب المرض ٠٠

— سلامتك ٠٠ ليست صحتي على ما يرام

أيضا ٠٠ ولكني لم أتوقع أن أراك أبدا ٠ الظاهر

أنه مكتوب على الأحياء أن يتلاقوا ٠

انقبض قلبه ، تذكر المطارد الغائب ، تتمم :

— ليس دائما ٠٠

— ماذا جاء بك الى ملاهى الشباب ؟

فقال دون مبالاة :

— جئت لأراك !

— كيف عرفت ؟

— أهل الخير كثيرون ٠

— دهشت طبعاً ، ولكن يوجد أكثر من سبب

وأنت ماذا تعمل ؟

فقال وهو يضحك :

— صاحب ملهى الاليزيه ٠٠

فضحكت ضحكة عالية غير مبالية بالرواد

فقال :

— تحويل مسرح الى ملهى ليس بالمسافة

الطويلة ، ولكن أنت ؟!

— أسباب كثيرة منها حلم سخي ف بأن أقدم

مسرحيات قصيرة وأمثلها ٠

— جميل أن يعاودك الحنين الى التمثيل بعد
ذلك العمر الطويل ؟

— مجرد حلم سخيـف .
— وكيف كانت حياتك الماضية ، أعنى منذ
فارقتنا ؟

فـقـالـت مـقـطـبـة :

— غاية فى التعاسة ، بين زوج لا رجاء فيه
وكراهية ابنائه وأهله لى ! وأنت متزوج طبعاً ؟!

— كلا ، كما تركتني . .

— أخطأت يا عجوز .

— حياتنا مليئة بالأخطاء !

— صدقت ، تسليتي أن أراقب المجانين من

عشاق الملهى .

— انهم مضجرون فى النهاية . .

— ولكن لا حياة لنا بدونهم ، كيف حال ابنك ؟

أجاب وهو يخفى انفعاله :

— عال . . مهندس قد الدنيا . .

— برفاقو . . هذا أهم شىء فى الدنيا . .

— ليس فى الدنيا شىء مهم !

وهى تتنهد :

— أنتذكر أيام الحارة ؟

— تجديدنا الآن سعيدة ؟

— أجل . . وأيام المسرح الناجحة . . وحبى

القديم . . وأمى وهى تخلل الليمون ، ترى

أما زالت المرأة على قيد الحياة ؟! ٠٠ على فكرة
ما أخبار ست عين ؟

— بخير •

— برافو ! ٠٠ ليتنى أزورها ذات يوم ٠٠
وأنت مقيم فى دارها ؟

— لم أرها منذ فارقت الحارة ٠٠

— يا خبر ! يا ويلنا من أمنا فى يوم القيامة !
فقال ببرود :

— اختلفت الطرق •

— طبعا ، من الفن الخائب الى الملاهى الليلية ،
نحن نمث الى طبيعة واحدة ، وقد تخلصنا فى
الوقت المناسب من العضو الصالح !
فقال بامتعاض :

— هو الذى تخلص منا

— سيخرج قريبا اذا لم يكن قد خرج ، ترى
متى يخرج ؟

— لم أعد أنكر شيئا •

— ألا تتوقع أن تراه ؟

— لا أظن ، وأنت ؟

— لا أهمية لذلك ، ولكن ما الذى جاء بك الى
هنا ؟

— قلت كى أراك •

— أجل ، أما زلت تذكر حبك القديم ؟

قابتسم ولم يجب • فقالت بحدة :

– الحب كذبة وضيعة ، لنيم مخادع ، يخيّل
الى أننى لم أحب الا المسرح .
– حقا ؟ ! ٠٠ رغم أنه جاءك عرضا ؟
– لكننى أحببته ، لم أتخل عن حبه ، فى أيام
الزوجية التعيسة كنت أتعزى بالانفراد بنفسى
وترديد بعض الأدوار .
– تعزية مبتكرة .
وهى تضحك بقحة :
– لقد كنت وغدا ، وكان حمدون بطلا ، ثم
ماذا كانت النتيجة ؟ !
فقال بحدة لم يستطع تهذيبها :
– وكنت الشيطان وراءنا !
– لو تزوجنى الشيطان لكان التوفيق نصيبنا
فهو خير من أمثالكم من الرجال ٠٠
فما تمالك أن ضحك وزايله التوتر . تساءلت :
– لم لم تنشأ على مثال أمك الكريمة ؟
– أمى مثال لا يتكرر .
فضحكت ضحكة غجرية دون مناسبة وقالت :
– ليست أمك وحدها بالمثال النادر ، اسمعنى
جيذا واحكم بنفسك .
هزت رأسها المصبوع برشاقة ثم راحت
تقول فى أناة وتجويد وبصوت منخفض :
– أيها الأصدقاء ، أيها الرومانيون ، أيها

المواطنون ، أعيروني أسماعكم : انى جئت لكى
أدفن قيصر لا لكى أشيد بذكره » .
فابتسم كالحالم وتمتم :
- جميل !

فانتفخت بتشجيعه وواصلت بصوت ارتفع
درجة عن سابقه :

- « ان ما يفعل الناس من شر يعيش بعدهم ،
أما الخير فغالبا ما يطمر مع عظامهم » .
التفت الجالسون حول المائدة القريبة نحو
الصوت وعلت الابتسامة وجوههم ، شعر عزت
بشئ من الحرج ، غير أنه همس وكأنما ليغريها
بالرجوع الى الهمس :

- كل شئ سيطمر مع العظام .
لم تنتبه لقوله ، سكرت بنشوة الفن والذكرى ،
اجتاحتها موجة تمرد واستهتار ، جلجل صوتها
في جناح الملهى وهى تنشد :

- « جئت أتكلم فى مأتم قيصر ، كان صديقى ،
وكان وفياء لى ، منصفا معى ؛ لكن بروتس يقول
انه كان طماعا وبروتس رجل شريف » .

أحدقت بمائدته الأعين ، وشاربت الأعناق
من الجناح الآخر ، انتقل المسرح الحقيقى الى
ركنه ، التهب جبينه ارتباكاً وحياء ، قال برجاء :
- فلنذهب الى حجرة الادارة !

لكنها كانت قد جاوزت الزمان والمكان ، وقفت

بهيتها الداعية للثناء وقفة شموخ وتحد ،
وهتفت بصوت هز القلوب والأركان :
- « حتى الأمس كانت كلمة قيصر قادرة على
أن تصد العالم • والآن ينطرح هناك لا تبلغ
المسكنة بأحد أن يخصه بتكرمة » •
دو المكان بالتصفيق ، تصفيق الاعجاب
والمجاملة والثناء والسكر • وقال لها عزت
بقوسل :

• • • حسبك • •
فقال بظفر أبله :
- ما علينا الا أن نعود للمسرح •
فقال اتقاء لغضبها :
- سأفكر في ذلك •
- معنا المال ، سيرجع حمدون ، ماذا
ينقصنا ؟ !

- عظيم • • عظيم • • عظيم • •
- تعاملني كطفلة ؟ !
- أبدا •

بحدة وحنق :
- لماذا جئت ؟
- يجب أن نكون أصدقاء •
- أنك أسوأ نكزى في حياتي •
- الله يسامحك • •
- وغد جبان •

— الله يسامحك يا بدرية •

— اذهب ولا تعد !

وصدع بالأمر فقام ومضى يتسلل بوجدان
يشتعل • أما هي فعادت تخطب بقوة :
— « أيها الأصدقاء ، أيها الرومانيون ، أيها
المواطنون • أعيروني أسماعكم • انى جئت لكى
أدفن قيصر لا لكى أشهد بذكره » •

٢٦

فر وهو يجفف عرق وجهه بمنديله • أى
حماقة ساقته الى زهرة النيل ؟ • لم لم يعمل
بالحكمة التى تجعلنا نوارى الجثث فى المقابر ؟ •
ما كان أغناه عن تلك التجربة الأليمة التى
انغرزت فى عظامه ، ألم تكفه تجزئة سمير
الضائع المشرذ • وانفرد بنفسه فى حجرة
الادارة وراح يفكر فى حياته •

لم تكن أول مرة ولكنه كان مثارا لحد الالهام •
ضاق أول أمره بالفراغ ولكنه استبدل به عملا
لا يؤمن به • أليس كذلك ؟ لم يكن من رجال
المسرح ، ولا هو من رجال الملاحى الليلية •
العمل يمثل فى حياتى مهريا من شىء أو طمعا فى
شىء أو انتقاما من شىء • أمى أول من دفعنى

١٦١

(عصر الحب)

الى الانحراف وهى الخير الصافى . لست قادرا
على فهم هذه الأمور أو هضمها . وما ينقصنى
حقا فهو راحة البال . ما ينقصنى حقا هو
الرضا عن النفس . هل يوجد حقا ما يسمونه
بالرضا عن النفس ؟! كيف يبلغه الانسان ؟
وأين أجد الجواب على هذا السؤال ؟! وما
جدوى الأسئلة وأنا مستسلم لتيار الحياة
اليومية ؟! وخطرله أن يسأل فرج يا مسهل وهما
يدخان معا فى شقته عقب التشطيب ، سألته :

— أنت سعيد يا عم فرج ؟

فأجاب الرجل صادقا :

— بفضل الله وفضلك .

أدرك أنه لم يفهم قصده فعاد يسأله :

— ما أهم شئ لتوفير السعادة ؟

— الصحة !

— ولكنها وحدها لا تكفى .

— والرزق !

— ولا شئ آخر ؟

— الزوجة والأولاد .

لقد ضاق بها جميعا وفر منها الى المجهول .

ولو شاء أن يبقى ويتزوج من أخرى لفعل .

كلا ، الأمر أشد تعقيدا مما يتصور فرج يامسهل

★ ★ ★

ودق جرس التليفون ضحى يوم فى شقته :

— ألو ؟
— عزت عبد الباقي ؟
— أنا هو .. من حضرتك ؟
— أما زلت تذكر حمدون عجربة ؟
خفق قلبه مستدعيا خليطا من الانفعالات
المضطربة ، لكنه هتف :
— حمدون !
— نعم ..
— لا أصدق .. أى فرحة .. مبارك ..
مبارك .. مبارك .. أين أنت الآن ؟ .. تعال
بلا تردد .. انى فى انتظارك ..

★ ★ ★

كان قد مضى على تجربة زهرة النيل شهر أو
شهر وأيام . وجلس ينتظر بقلب كئيب ونفس
رافضة حانقا على الماضى الذى لا يريد أن يموت ،
وخيل اليه أنه يستمد من غذائه قوة ستغير كل
شئ وأنه سيرفض ذل الأسر المقيم .
وأقبل حمدون عجربة :

أقبل رجلا آخر كما توقع ولكنه فاق توقعه ،
لم يكذب يعرفه . رآه لأول مرة أصلع ، وعينه
اليسرى أضيق من اليمنى . على حين وشت
مشيته الواهنة ورجله اليمنى المتصلبة بشلل
أصابه ذات يوم .. تجسد له اثمه القديم مكثرا
بغیضا فاستل من نفسه أى حنان كان جديرا أن

يمس أوتار وجدانه • اجتاحتها عاصفة في الخفاء
وهما يتعانقان • استقره ذلك الى مزيد من التفكير
في البحث عن حياة جديدة • يريد أن يذهب كما
يتعطش الى رؤية سمير ، وجلس في فوتيل مقابل ،
في موضع ابنه المختار ، وتبادلا النظر هو
مبتسما ، والآخر جامدا أو عاجزا بفيه المعوج
قليلا من الابتسام • قال عزت بابتهاج :

– الله وحده يعلم بمدى فرحتي بلقائك •

فقال حمدون بصوت منخفض :

– توقعت ذلك ، لست على ما يرام ، ولكن

يسعدني أن أراك في صحة جيدة ••

فقال عزت كالمحتج :

– بل أصبحت بدوري أخا مرض ، ليس هذا

هو المهم ، كلانا وراءه حكاية وسيتيح لنا الوقت

تبادل الحكايات ••

فقال حمدون بهدوء وثبات :

– ولكنك أنجبت ابنا رائعا !

فتأثر عزت تأثرا عميقا غطى على دهشته

وتساءل :

– من أدراك به ؟

– لا شيء يمتنع عمن وراء الأسوار •

– ماذا تعلم عنه ؟

فلم يزد عن قوله :

– انه فتى رائع ••

- سرعان ما فقدته .
- هز رأسه نفيا ولم يعقب . . ترى هل يعرف
- عن سمير أكثر منه ؟ واندفع ربما دون تدبر
- ليخرجه من تزمته فقال :
- آخر أخبار بدرية أنها تعمل مديرة للمهى
- ليلي . . « زهرة النيل » . . ؟
- ولكنه لم يتأثر . تساءل بلا مبالاة :
- كيف حالها ؟
- شاخت وخرقت !
- نهاية طبيعية وإن جاءت قبل الأوان
- بقليل . .
- لنرجع اليك . . ما مشروعاتك عن المستقبل !
- لا شيء !
- رغم توقعه لذلك فقد حنق غير أنه قال بنبرة
- ودية :
- لا تحمل هما . . ولكنك لست على ما يرام .
- أصبت من أعوام بشلل نصفى ، ولست
- أمل فى تحسن أكثر مما بلغت .
- يا للأسف . . ولكن الأمل موجود .
- لا شك أنك متشوق للتأليف ؟ !
- لا قدرة لى على تأليف جملة واحدة .
- على أى حال لا تحمل للرزق هما . .
- فقال ممتنا :
- نعم الصديق أنت !

سرعان ما حدث تغير في صورة انفجار ، بلا
تمهيد ولا مناسبة ظاهرة • خرج به عن الزمان
والمكان • ألقى به في جحيم فتوثب بارادة من حديد
وحطم حاجز الكذب • وقف كصاروخ ، وقال
بصلابة ورفض كألجنون :

— انى صاحب الرسالة ••

ارتسمت الدهشة على وجه حمدون وتسائل :

— أى رسالة ؟

— رسالة الاتهام التى أرسلت الى المحقق عقب

القبض عليك !

ساد صمت كئيب ثقيل • رماء بنظرة بليدة

تسائل :

— أنت ؟ !

— نعم •• وأعرف أنك اعترفت قبل وصولها

ولكننى أنا الذى أرسلتها ••

ازدرد ريقه وسأله :

— لم ؟

— خدمة للعدالة فى الظاهر ولكن لأستولى على

زوجتك فى الحقيقة !

فتسائل حمدون بغموض :

— وتزوجت بدرية ؟

— كلا • ليس بوسعنا أن نسيطر على خطة

كاملة ، إذ أن غيرنا يشاركنا ونحن لا ندرى فى

تأليفها •

وساد الصمت كغلاف لانفعالات شتى ولكن
عزت رجع من مغامرته الجنونية بشيء من
الهدوء . . وكثير من الاستسلام ، حتى انه سأل
في النهاية :

— ما رأيك فيما سمعت ؟

فأجاب بازدرء :

— انك قذر ولكنك لست أقذر من كثيرين . .

ولم يغضب ، تلقى الدم ضمن سيال مرتعش
من نشوة مبهمة . ووقف على حافة التحدى بقلب
لا يخلو من جذل والهام . . واعرابا عن حاله
الجديدة قال بصوت لا أثر للاستياء فيه :

— أمامنا فرصة للنسيان الماضي . .

فتساءل خمدون بوجوم :

— ألم يكف ربع قرن للنسيان ؟

— كلا .

— ماذا تقصد ؟

— أن نعالج أمورنا بروح جديدة .

— أتريد أن توحد مصائرنا مرة أخرى ؟

— بعزيمة صادقة .

فقال بازدرء :

— انك تبحث عن كفارة وانى أحترق ذلك .

— لم جئتني ؟

— لم يساورنى فيك شك .

- لقد حطمنا أنفسنا فيما مضى وعلينا أن نحاول البناء .
- فقال بازدياء أشد :
- على أن أبصق على وجهك . .
- فابتسم عزت وهو نشوان بقدرته على الاحتمال .
- انى مسئول عنك .
- انك لا تستطيع أن تحمل مسئولية حشرة .
- بل يجب أن تعيد التفكير .
- لأن أراك بعد اليوم .
- كيف تواجه الحياة ؟
- هل طرحت هذا السؤال على ابنك ؟
- تغلغل الألم حتى جذور قلبه فأمسك عن الكلام على حين واصل حمدون قائلاً :
- أى تسامح من ناحيتى يعنى أن عمرى ضاع هباء .
- فقال عزت بأسى :
- انى أفكر فى بناء جديد يتسع لحياة صحية
- تضم حمدون وعزت وبدرية وسيدة .
- تحاول أن تجعل منا أدوات لخلق السلام
- لنفسك كما سبق أن جعلت منا أدوات لتخريب
- لتشيد فوق أطلالنا السعادة التى رفضتك .
- فقال عزت بحرارة :
- لقد نلت الجزاء وأكثر . .

– لو صح ذلك ما فكرت فينا قط •
واخذ حمدون يقوم معتمدا على عصاه الغليظة
ذات الكعب المطاط فقال عزت برجاء :
– تخل عن عنادك •
استقام ظهره على مهل •• تحرك للذهاب ••
تساءل عزت :
– كيف تواجه الحياة ؟
فقال وهو لا يتوقف :
– كما يواجهها ابنك •
وخفق قلبه فسأله بلهفة :
– أنت تعرف عنه أشياء ، ماذا تعرف عن
ابني ؟
فقال وهو يعبر العتبة :
– لا تسأل عما لا يعنك •

٢٧

يقول الراوى :
ان عزت صار شخصا آخر • منذ ذهاب
حمدون تواجد عزت الاول وعزت الآخر متجاورين
في مكان واحد • صورتان متطابقتان تماما غير
أن الأول رمق الآخر بدهشة وحيرة ، توجس منه
خيفة واعتقد أن الآخر يتوجس منه خيفة أيضا •

وتساءل كيف يمضى التيار بهما وهما في قارب واحد ؟ لقد اعتاد أن ينفرد برأيه ربع قرن من الزمان وذاك الآخر يتصرف تصرف الشركاء ويعتد بنفسه لحد التحدى • وسمعه يقول :

– لن أستمّر • •

فسأله بحذر :

– ماذا تعنى ؟

لكنه لم يجبه • لم يبد عليه أنه يهتم بوجوده أو يشعر به • فقال وكأنه يخاطب نفسه :

– لن أستمّر ، أصبح ذلك مستحيلا • •

وإذا به يندفع فى إجراءات لم تجر على بال

الأول ، قال لفرج يا مسهل :

– انى ذاهب ، لك أن تدير الملهى اذا شئت •

وحده فرج يا مسهل ببصر ذاهل فقال الآخر :

– سأبيع أثاث شقتى والتحف وخلافه •

فقال له عزت الأول :

– لا حق لك فى شىء من ذلك •

ولكن الآخر تصرف تصرف المالك الأوحده •

وأدرك الأول أنه لا قبل له بمعارضته فأوعز الى

فرج يا مسهل باطاعته وأن يوهمه بأنه يصعد

بأمره وأن يبقى كل شىء على حاله • وأخيرا عانق

الآخر فرج يا مسهل وهو يودعه فقال عم فرج :

– رجوعك الى الحارة هو ما اقترحتة عليك

من بادىء الأمر •

فدهش الأول وسأله :
- أنرجع حقا الى الحارة ؟
وتجاهله ، الآخر كعادته ومضى الى التاكسى ،
وقبل أن يتحرك التاكسى قال الآخر لفرج :
- قلبى يحدثنى بأبنى سأحظى ذات يوم برؤية
ابنى سمير .
فقال العجوز :
- وستجده على خير ما تتمنى له .

★ ★ ★

مضى التاكسى فى طريقه الى الحارة . الآخر
متخذاً مجلسه داخله والأول يتبعه عن كثب .
وقف التاكسى عند المدخل فدخل الاثنان الحارة
مشيا على الأقدام . دهش الأول وقال لنفسه
ليس من سمع كمن رأى . شد ما تغيرت الحارة .
جددت أرضها فحل الأسفلت محل الحجارة .
رشقت المصابيح بالجدران . اختفت الخرائب
وشيدت مكانها مساكن ومدرسة . حقا انها تبدو
جديدة . فتياتها يخطر فى الفساتين سافرات .
لم يبق على حاله الا القيو والحصن القديم فوقه .
عمارات ست عين طليت من جديد . أما باب
دارها فلاذ بمكره تحت التمساح المحنط لا ينم
أديمه الخشن عن الفردوس المترامى وراءه . لم
ينتبه لهما أحد . لم يعرفهما أحد . غريبان فى
حارة غريبة ، سأله :

— ألم يكن الأوفق أن نسافر الى الخارج ؟
لكن الآخر طرق الباب • دخل بثقة كمن يدخل
بيته • عرفته خادمة عجوز فهللت فقال الأول :
— عما قريب سترى عين • ماذا عندك من قول
لها ؟

وانجذب — متناسيا الآخر — لروائح الياسمين
والحناء • ورأى قطعة من جيل جديد لا بركة ولا
نرجس ولا انعام ولا أم الليل ولا صباح •
— ها هي سيدة !

ظهرت في المشى الذى شدت منه قديما الى
المذبح • ما أشبهها اليوم بأمرها في كهولتها
ولكنها نحيلة شاحبة • حزينه الى الأبد • أنا
المعتدى لا أنت • ولكنها ترنو اليك أنت وكأنها
لا ترانى • ولكنكما تترامقان صامتين تحت
ضغط الذكريات • ثم يقول الآخر :
— كيف حالك يا سيدة ؟

لم ترد من شدة الانفعال • اغرورقت عيناها
الذابلتان • لعل التاريخ اقتحمها في دقيقة
واحدة ، ولكنها غمغمت أخيرا :

— تفضل في الشرفة فالجو هناك ألطف •
انه الأصيل وآخر الخريف ولكن اليوم دافئ •
وجلس على الأريكة القديمة ، كل شيء تغير الا
الدار • وهناك الخميلة التى شهدت عبث
الطفولة • وتساءل الآخر :

- أين أمي ؟
- في حجرتها .
- ألم تدر برجوعي ؟
- سمع أنفاسها بدلا من الجواب فكرر السؤال .
- قالت :
- انها لا تغادر الفراش .
- مريضة ؟ !
- كلا . . . انه العمر . . .
- كان يجب أن تقوديني اليها .
- يجب أن تعرف أشياء قبل ذلك .
- فرمقها متسائلا فقالت :
- لقد فقدت البصر .
- قطب الآخر منزعا ، وأدرك الأول ما غاب
- عن فرج يا مسهل . واستطردت سيدة :
- وفقدت أيضا السمع !
- وقف الآخر مضطربا متسائلا :
- ألم يعالجها طبيب في الوقت المناسب ؟
- بلى ، أقل ما يجب . ولكنها ارادة الله .
- وقال الأول بحزن :
- لا عودة بلا ثمن .

اندفع الآخر الى حجرة عين . رأى وجهها
فوق الغطاء الأخضر على الفراش العتيق ذي
الأعمدة الأربعة . انحسر المنديل الأبيض عن

خصلات فضية • انطرح الوجه نحىلا طويلا
محنطا بالشيخوخة • هتف :

— أمى !

• وانكبا على جبينها فلثماء فى وقت واحد •
ندت عنها حركة رقيقة وهمست :

— سيدة ؟ !

فقال الأول مخاطبا الآخر :

— رحلة خاسرة •

قال الآخر بحزن :

— أنا عزت يا أمى •

فقال الأول :

— لن تخاطب الا نفسك •

وقالت سيدة :

— لا تكف عن الدعاء لك ولسمير •

فقال الأول :

— فلنسافر الى الخارج •

★ ★ ★

رجع الآخر بصحبة سيدة الى الشرفة والمغيب

يهبط متمهلا • قال :

— ستعرفنى بطريقة أو بأخرى •

فقال سيدة :

— بالتأنى واللف حتى لا تنفعل •

وابتعدت قليلا حتى كادت تلتصق بالأول

وهى لا تدرى وقالت :

- - يجب أن أذهب
- فسالها الآخر :
- الى أين ؟
- - أى مكان
- فقال بحزم :
- - هنا بيتك
- - ولكن ..
- فقاطعها :
- - انه بيتك وسيكون بيتك أكثر
- فساله الأول :
- ماذا تعنى بالضبط ؟ !
- أما سيدة فقد رمت الآخر بنظرة متسائلة ،
- فسالها مبتسما :
- أيدأهلك شك فى أننى تغيرت ؟
- فهمست :
- كل شىء تغير !
- فقال له الأول :
- من الآن فصاعدا عليك أن تنظم قصيدة
- طويلة فى الرثاء •
- وتساءلت سيدة :
- أما من جديد عن سمير ؟
- فقال الآخر :
- - لا جديد ، انه بعيد ، أمى بعيدة أيضا •
- لو أعرف فقط أنه حى يرزق !

فقال الآخر متأثرا بالهام منبعث من الأعماق :

— هو كذلك وسوف نتلاقى ذات يوم •

فقال الأول :

— لا بد من السفر الى الخارج •

وجلست سيدة لأول مرة غير بعيد من الآخر •

وراحا ينظران الى الحديقة معا •

وشعر الأول بأنه آن له أن يذهب • غير أنه

سمع سيدة وهى تقول :

— أوقفت ست عين أملاكها للخير على أن ينفذ

ذلك بعد انقضاء الأجل •

فتفكر الآخر قليلا ثم قال فى غير مبالاة :

— خير ما فعلت !

— وعينتك ناظرا للوقف ومن بعدك سمير •

فتمتم :

— عظيم •

— قالت وهى تفعل ذلك عنك « سيمارس

الخير رضى بذلك أو أبى !

فابتسم الآخر وقال :

— سأفعله راضيا •

وقال له الأول :

— أستودعك الله •

غادر الدار • غادر الحارة • مضى الى شارع

دوبريه • استراح قليلا فى شقته • ذهب الى الملهى

والمطربة تفتتح السهرة منشدة :

يا ورد على فل وياسمين الله عليك يا تمرحنة
ألقى نظرة على الصالة المكتظة ثم اتجه الى
حجرة الادارة • وما ان انفرد بنفسه حتى قال :
- عندما يرجع سمير سيجد ثلاثة آباء في
انتظاره ، أنا والآخر وحمدون ، سيختار أباه
بنفسه كما اختار حياته •
وتفكر مليا ثم قال :
- سأسافر الى الخارج حال انتهاء الشتاء •

٢٨

يقول الراوى :
انه في ليلة القدر انبعث في الست عين نشاط
غير متوقع • رفضت أن تمس عشاءها من
الزبادى وسألت سيدة أن تجلسها • كسرت
سيدة وراء ظهرها وسادة طرية وأجلستها نصف
جلسة •
وقالت عين وهى تبتسم :
- سيطيب الجو وتشرق الأرض بنور ربها
فارعوا العصافير بالرحمة ••
وتمادت في الابتسام وهى تقول :
- سأغنى أغنية عشقتها في صغرى •
وراحت تغنى بصوت ضعيف مثير :

يمامة حلوة ومنين أجيبها

ثم هتفت :

– انى أرى . . . أرى بكل وضوح . . .

اقترب منها الآخر وسألها بلهفة :

– هل تريننى يا أمى . . ؟

ولكنها استطردت دون أن تشعر به :

– انى أرى الطيبين الذين ذهبوا . . انهم

ينادوننى . . سمعا وطاعة . . عين قادمة . .

★ ★ ★

يقول الراوى :

ان الست عين لم تمت . . رغم أن الذين

عاصروا وفاتها لم يعرفوها أو كذلك كانت

أغلبيتهم . ما عرفوا الا ما يتناقله الرواة ولكن

ست عين لم تمت . . وحتى اليوم يطلق الناس

على المستشفى الذى قام مكان دارها . . .

« مستشفى الست عين » .

« تمت »

مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

اسم الكتاب	تاريخ اول طبعة	تاريخ آخر طبعة
مصر القديمة	١٩٣٢	
همس الجنون	١٩٣٨	العاشرة ١٩٧٩
عبث الاقدار	١٩٣٩	العاشرة ١٩٨٢
رأدوبيس	١٩٤٣	العاشرة ١٩٨١
كفاح طيبة	١٩٤٤	العاشرة ١٩٧٩
القاهرة الجديدة	١٩٤٥	الثانية عشرة ١٩٨٤
خان الخليلي	١٩٤٦	العاشرة ١٩٧٩
زقاق المدق	١٩٤٧	العاشرة ١٩٨٢
الراب	١٩٤٨	الثانية عشرة ١٩٨٤
بداية ونهاية	١٩٤٩	الرابعة عشرة ١٩٨٤
بين القصرين	١٩٥٦	الثانية عشرة ١٩٨٣
قصر الشوق	١٩٥٧	الثانية عشرة ١٩٨٤
السكرية	١٩٥٧	الحادية عشرة ١٩٨٤
الرص والكلاب	١٩٦١	التاسعة ١٩٨٠
السمان والخريف	١٩٦٢	الثامنة ١٩٨٤
دنيا الله	١٩٦٢	الخامسة ١٩٧٨
الطريق	١٩٦٤	الثامنة ١٩٨٤
بيت سىء السمعة	١٩٦٥	السابعة ١٩٨٣
الشحاذ	١٩٦٥	السابعة ١٩٨٢
ثمرة فوق النيل	١٩٦٦	السادسة ١٩٨٣
ممرامر	١٩٦٧	الخامسة ١٩٧٩
خمارة القط الاسود	١٩٦٩	السابعة ١٩٨٥
تحت المظلة	١٩٦٩	السادسة ١٩٨٤

اسم الكتاب	تاريخ أول طبعة	تاريخ آخر طبعة
حكاية بلا بداية ولا نهاية	١٩٧١	١٩٨٧ السابعة
شهر العسل	١٩٧١	١٩٨٢ السادسة
المرايا	١٩٧٢	١٩٨٠ الخامسة
الحب تحت المطر	١٩٧٣	١٩٨٠ الرابعة
الجريمة	١٩٧٣	١٩٨٤ الخامسة
الكرنك	١٩٧٤	١٩٨٦ السابعة
حكايات حارتنا	١٩٧٥	١٩٨٦ السادسة
قلب الليل	١٩٧٥	١٩٨١ الثالثة
حضرة المحترم	١٩٧٥	١٩٨٣ الرابعة
ملحمة الخرافيش	١٩٧٧	١٩٨٥ الرابعة
الحب فوق هضبة الهرم	١٩٧٩	١٩٨٧ الرابعة
الشیطان يعظ	١٩٧٩	١٩٨٧ الرابعة
عصر الحب	١٩٨٠	١٩٨٧ الثانية
أفراح القبة	١٩٨١	١٩٨٧ الثالثة
ليالى ألف ليلة	١٩٨٢	١٩٨٧ الثالثة
رأيت فيما يرى النائم	١٩٨٢	١٩٨٧ الثالثة
الباقى من الزمن ساعة	١٩٨٢	١٩٨٥ الثانية
أمام العرش (حوار بين الحكام)	١٩٨٣	١٩٨٥ الثانية
رحلة ابن فطومة	١٩٨٣	رواية
التنظيم السرى	١٩٨٤	مجموعة
العائش فى الحقيقة	١٩٨٥	رواية
يوم مقتل الزعيم	١٩٨٥	رواية
حدث الصباح والمساء	١٩٨٧	رواية
صباح الورد	١٩٨٧	مجموعة
تحت الطبع		
قشتمر	رواية	
الفجر الكاذب	مجموعة	

رقم الايداع ٢٥٧٢

الترقيم الدولى ٢ - ٤٣٢ - ٤١٦ - ٩٧٧

التميز

دار مصر للطباعة
سعيد سروده السحار وشركاه